للناشئين والشباب

1

روائع الأدب العالمى

فى كبسولة

عرض وتبسيط : **مختار السويفى**

- حول العالم فى ثمانين يوماً
- دكتور جيكل ومستر هايد
- سجين زندا
- اللؤلؤة
- الآمال الكبرى
- حكاية مدينتين
- دافيد كوبرفيلد
- أوقات عصيبة
- الملك لير
- حلم ليلة صيف
- الليلة الثانية عشرة
- ماكبث

الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

مكتبة الدار العربية للكتاب
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + ـ ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com
رقم الإيداع : 7228 / 1993
الترقيم الدولي : 3-00-5482-977

الطبعة الخامسة : محرم 1427هـ ـ فبراير 2006م
الطبعة السادسة : جمادى الأولى 1429هـ ـ يونيو 2008م
الطبعة السابعة : جمادى الآخر 1433هـ ـ مايو 2012م
تصميم الغلاف والرسوم الداخلية : محمد قطب

إهـــداء ...

إلى حبيبة الروح ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتى هالة ..

رحـمها الله وأكـرم مثواها ..

مقدمة الطبعة الثانية

الناشئون والشباب هم أمل هذه الأمة وطلائع نهضتها ، وهم عماد المستقبل وصنّاعُه ، فمنهم سيخرج من يتولى زمام الأمور فى الحكم والسياسة والاقتصاد والعلم والدين ، وسيكون منهم الأدباء والحكماء والفلاسفة والمهندسون والمحاسبون والأطباء والمعلمون والعاملون فى كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية بمختلف أنواعها ومستوياتها .

ولا خير فى أمة لا تعطى لناشئيها وشبابها مفاتيح التقدم ، ولا تمنحهم فرص المعرفة والتعلم ، ولا تتيح لهم سبل الوصول إلى ما تهدف إليه الأمم الناهضة فى مختلف الأوطان من رفعة ورقى إنسان العصر الحديث .

ولا جدال فى أن « الثقافة العامة » أصبحت سمة هذا العصر الحديث الذى تنوعت فيه سبل التثقيف بالمخترعات الحديثة كالسينما والتليفزيون والصحافة متمثلة فى هذا الكم الهائل من الجرائد والمجلات . ومع ذلك ، وبالرغم من تنوع هذه السبل والوسائل، ظل «الكتاب » هو الوسيلة المثلى والخالدة فى تثقيف العقول وتهذيب النفوس بما يتيحه لقارئه من معارف ومعلومات يتميز بها عن الذين لايقرأون ،أو عن الذين انقطعت الأسباب بينهم وبين الكتب، أو عن الذين يقرأون كتباً غاب الضمير عن مؤلفيها وناشريها فملأوها بموضوعات تافهة وخرافات ممجوجة تفسد العقول وتقتل وقت الناس .

ويرجع الفضل فى تكوين فكرة إصدار تلك السلسلة من «روائع الأدب العالمى فى كبسولة » وتوجيهها إلى الناشئين والشباب إلى الصحفى الكبير والأديب الرقيق الاستاذ عبد الوهاب مطاوع محرر «بريد الأهرام» ورئيس تحرير «مجلة الشباب» التى

تصدرها مؤسسة الأهرام . . فقد طلب منى أن أقدِّم عرضاً وتبسيطاً للأعمال الأدبية العالمية المقررة على الطلبة من الناشئين والشباب فى مراحل التعليم المختلفة من إعدادية وثانوية وجامعية ، وذلك ليكون نشر هذا العرض والتبسيط فى «مجلة الشباب» عونا لهم فى تفهم تلك الأعمال الأدبية بطريقة مبسطة تساعدهم على تفهم النص الكامل المقرر عليهم فى المرحلة التعليمية .

وأسفرت تلك التجربة عن نتيجة تجاوزت ما كنا نهدف إليه ، فقد أصبحت «روائع الأدب العالمى فى كبسولة» من المواد التحريرية التى يقبل عليها قراء «مجلة الشباب» بمختلف مراحلهم العمرية ، بالاضافة إلى القراء من الطلبة الذين نشرت هذه المواد من أجلهم . وهو أمر لا أخفى أنه ملأ قلبى بالسرور والغبطة ، وشجعنى على مواصلة عرض هذه الأعمال الأدبية العالمية بهذه الطريقة المبسطة غير المخلة بالقيم الأدبية والأخلاقية التى تتضمنها هذه الأعمال .

وقد شجعنى هذا النجاح على أن أعرض فكرة تجميع هذه الأعمال فى شكل سلسلة من الكتب لتوسيع دائرة المستفيدين من قراء الأدب العالمى ، وقد رحب المسئولون «بمكتبة الدار العربية للكتاب» بتبنى هذا المشروع ، وأصدروا منه حتى الآن [منتصف عام ١٩٩٦ م] أربعة أجزاء تضمنت عرضاً وتبسيطاً لسبعة وثلاثين عملاً من «روائع الأدب العالمى » .

وبفضل الله فقد نجحت هذه السلسلة ونفدت طبعاتها الأولى تباعاً، الأمر الذى دفع دار النشر إلى إعادة اصدارها فى طبعات ثانية .

ويسعدنى أن أضع الطبعة الثانية من هذا الكتاب بين يدى القارىء الكريم ، معتمداً على الله وعلى عشمى الكبير فى أن يسعد بقراءة هذه الروائع الشهيرة من الأدب العالمى .

مختار السويفى

كورنيش النيل ـ القاهرة
فى ٥ مايو ١٩٩٦

مقدمة الطبعة الأولى

الكتاب خير صديق للإنسان ..

وكما هو الحال بين الأصدقاء هناك صديق صالح ومصلح ، وصديق طالح ليس وراءه إلا الفساد .. هناك كتب تفيد قارئها وتثريه .. وكتب أخرى قد تجر الضرر إن لم يكن لها نفع على الإطلاق ..

ولاشك فى أن الناشئين والشباب هم خير تربة صالحة لنمو البذور التربوية النافعة ، وهم خير المستفيدين بالأعمال الصالحة التى تنمى مواهبهم وتزكى نفوسهم وتملأ قلوبهم ونفوسهم بالقيم الرفيعة والمثل العليا .

ولقد آمنت منذ البداية بأن تقديم روائع الأدب العالمى للناشئين والشباب رسالة واجبة لابد أن أوفيها حقها مادمت قادراً على ذلك .. ولعل هذا هو السبب فى حرصى على تزويد جيل الشباب بكل ما استطعت الوصول إليه من القصص والروايات التى يزخر بها الأدب العالمى والتى تعتبر من الأركان الأساسية لتكوين الثقافة العامة للقارىء الشاب .

وقد حرصت فى هذه السلسلة الجديدة «روائع الأدب العالمى فى كبسولة» على أن أيسّر لشبابنا الاطلاع على معظم الأعمال الشهيرة التى كتبها أدباء

عالميون من القدماء والمحدثين ومن مختلف دول العالم .. وسيجد القارىء الكريم هذه الأعمال مبسطة غاية التبسيط ومختصرة اختصاراً لايخل بموضوع العمل ولايفوِّت القيم والعبر التى يتضمنها كل عمل من هذه الأعمال ..

سيجد القارىء عرضاً موجزاً لجميع الأحداث وجميع الشخصيات التى تتضمنها كل رواية ، مع عدم إغفال روح الكاتب الأصلى للرواية وأسلوبه الأدبى الذى تميز به .

وقصدى من هذا كله أن أتيح للقارىء أكبر مجموعة من الأعمال الأدبية المعروفة عالمياً .. أضعها له فى كبسولات صغيرة يسهل تقبلها ، لعله يسعى فيما بعد إلى العمل الأدبى الأصلى إذا رأى فى العرض المختصر مايغريه بهذا السعى .

والله وحده هو الموفق فى كل سعى نبيل .

مختار السويفى

كورنيش النيل ـ القاهرة

أول يوليو ١٩٩٣

جـول فـيرن

حول العالم فى ثمانين يوماً

LE TOUR DU MONDE EN QUATRE - VINGT JOURS

PAR : JULES VERNE



بدأت الأحداث فى مدينة لندن عام ١٨٧٢ ، حيث كان يعيش «مستر فيلياس فوج» وهو رجل ثرى .. انجليزى الطبع والسلوك .. وعضو بنادى «الإصلاح» الذى كان يقضى فيه معظم أوقاته .

كان يعيش وحيداً دون زوجة أو ولد .. حياته منظمة ودقيقة مثل الساعة المضبوطة .. وكان حازماً فى قراراته لدرجة أنه طرد خادمه بسبب غلطة قد تبدو بسيطة .. فقد أحضر الخادم له ماءً ساخناً درجة حرارته ٨٤ مئوية بدلاً من درجة ٨٦ مئوية ، وهى الدرجة التى يفضلها .

وفى بيته النظيف الهادىء ، جلس «مستر فوج» على مقعد مريح ، منتظراً قدوم الخادم الجديد .. وفى الموعد المحدد بالضبط دخل الخادم وقدم نفسه . قال إنه فرنسى واسمه «جان باسبارتو» .. وإنه اشتغل من قبل فى أعمال كثيرة .. فقد كان يغنى فى الشوارع .. ويلعب الأكروبات .. ويرقص على الحبل .. وعمل أيضاً كضابط فى فرقة المطافىء فى باريس .. وإنه يود الآن أن يعمل خادماً فى بيت أحد السادة الإنجليز ، المعروفين بالانضباط والحياة الهادئة .

وفى دقائق قليلة ، وافق «مستر فوج» على تعيين «باسبارتو» .. وترك له البيت وانصرف كعادته إلى النادى ..

● ● ●

وتناول «مستر فوج» غداءه فى الموعد المعتاد .. ثم ذهب إلى صالة القراءة والمطالعة ، وقرأ عدة جرائد إنجليزية معينة ، ثم انضم بعد ذلك إلى مجموعة من أصدقائه الأعضاء فى نادى الإصلاح .

دار الحديث بين الأصدقاء فى البداية حول حادث السرقة المنشور بالصحف ، حيث تمكن أحد اللصوص من سرقة مبلغ «٥٥» ألف جنيه استرلينى من أحد بنوك لندن ، واستطاع أن يفر دون أن يتم القبض عليه .. وتداول الأصدقاء فى إمكانية هروب اللص بالمبلغ الذى سرقه بعد أن يخرج من انجلترا ويتجه إلى أى مكان آخر فى هذا العالم ..

ولذلك فقد انتهى الحديث إلى إمكانية السفر حول العالم .. وقال بعضهم أن الاختراعات الحديثة كالسفن السريعة وقطارات السكك الحديدية قد تساعد فى إمكانية الدوران حول العالم فى ثلاثة شهور على أقل تقدير .

ولكن «مستر فوج» كان له رأى مخالف .. فقد أمسك بقلمه وكتب على ورقة البيانات التالية :

٧ أيام للسفر من لندن إلى السويس [بالقطار والسفينة] ـ ١٣ يوماً بالسفينة من السويس إلى بومباى ـ ٣ أيام من بومباى إلى كالكتا ـ ١٣ يوماً بالسفينة من كالكتا إلى هونج كونج ـ ٦ أيام بالسفينة من هونج كونج إلى يوكوهاما باليابان ـ ٢٢ يوماً بالسفينة من يوكوهاما إلى سان فرانسسكو بأمريكا ـ ٧ أيام بالقطار من سان فرانسسكو إلى نيويورك ـ ٩ أيام بالسفينة من نيويورك إلى لندن .. وبذلك يكون المجموع «٨٠ يوماً» فقط وليس ثلاثة شهور كما يقول الأصدقاء .

وهنا قال أحد الأصدقاء أن ذلك مستحيل .. وأنه يراهن بأربعة آلاف من الجنيهات على صحة رأيه فى أن الرحلة حول العالم تستغرق زمناً أكثر من الثمانين يوماً التى حددها «مستر فوج» .. ولكن «مستر فوج» تمسك برأيه وقبل الرهان .. بل وأضاف بأنه يراهن أيضاً بمبلغ عشرين ألفاً من الجنيهات لكى يثبت لهم أن فى استطاعته أن يقوم برحلة حول العالم فى ثمانين يوماً فقط ، ودون أية زيادة ولو دقيقة واحدة .. وذلك بشرط واحد هو أن يدفع له الأصدقاء تكاليف هذه الرحلة إذا نجح فى القيام بها فى الوقت الذى حدده .. وقبل الأصدقاء هذا الرهان .

وحسم «مستر فوج» الأمر بقوله أنهم الآن فى يوم الأربعاء «٢» أكتوبر .. وفى الساعة التاسعة إلا ربعاً من مساء هذا اليوم سيقوم قطار من لندن إلى دوفر .. وأنه سيبدأ رحلته حول العالم بهذا القطار .. وعليه أن يعود إلى لندن بعد ثمانين يوماً ، أى فى (٢١) ديسمبر الساعة التاسعة إلا ربعاً ..

واندهش الأصدقاء من سرعة القرار الذى اتخذه «مستر فوج» .. خصوصاً وأن الساعة قد بلغت السابعة مساء ، ولم يبق سوى ساعة واحدة وخمس وأربعين دقيقة على تحرك هذا القطار .. ولذلك فقد نصحه الأصدقاء بأن يسرع إلى بيته ليستعد للسفر .. ولكنه قال لهم أنه ليس فى حاجة إلى الاستعداد ، لأنه مستعد دائماً وفى كل وقت .

وعندما وصل «مستر فوج» إلى بيته ، طلب من خادمه الجديد «باسبارتو» أن يجهز حقيبة السفر ، وأن يستعد للسفر معه إلى رحلة حول العالم .. واندهش الخادم طبعاً من هذا القرار المفاجىء ، ولكنه رضخ لهذا الأمر السعيد ..

كانت الحقيبة لاتحتوى إلا على بعض ملابس النوم الليلية، ووضع فيها «مستر فوج» مجموعة من الأوراق المالية تقدر بعشرين ألف جنيه ، وطلب من «باسبارتو» أن يحافظ على الحقيبة جيداً لأن هذا المبلغ سيساعدهما فى الصرف على تكاليف الرحلة ..

وفى الساعة الثامنة وأربعين دقيقة وصل الاثنان إلى محطة السكك الحديدية ليستقلا القطار الذاهب إلى دوفر .. وعلى رصيف القطار ، جاء أصدقاء «مستر فوج» الخمسة الذين راهنوه وتراهن معهم .. وقال لهم «مستر فوج» قبل أن يودعهم أنه سيقوم بختم سفره من القناصل البريطانيين فى كل بلد يصل إليه ليثبت لهم مروره على هذا البلد .

وفى الساعة التاسعة إلا ربعاً بالضبط .. تحرك القطار .. وبدأت رحلة «مستر فوج» وخادمه «باسبارتو» حول العالم ..

● ● ●

وصلت السفينة «منغوليا» التى كان يستقلها «مستر فوج» وخادمه «باسبارتو» إلى ميناء «السويس» بعد سبعة أيام من بداية الرحلة .

وفى أحد مكاتب الميناء ، دار حديث بين القنصل البريطانى ومخبر سرى بريطانى إسمه «مستر فيكس» .. وكان لدى هذا المخبر فكرة غريبة ، هى أن اللص الذى سرق المبلغ الكبير من أحد بنوك لندن ، سيهرب بهذا المبلغ إلى أمريكا .. ولكنه لن يهرب عبر الطريق المعتاد من انجلترا إلى أمريكا بعبور المحيط الأطلنطى ، وإنما سيضلل الشرطة والمخبرين السريين الذين يتعقبونه ، وسيذهب إلى أمريكا عن طريق الشرق مروراً بالهند واليابان ، وعبوراً للمحيط الهادى حتى يصل إلى أمريكا .

وكان «مستر فوج» أثناء وجود السفينة بميناء السويس قد أرسل جواز سفره مع خادمه «باسبارتو» ليختمه من القنصل البريطانى .. وفى مكتب القنصل تقابل «باسبارتو» مع المخبر السرى «مستر فيكس» الذى وجه للخادم بعض الأسئلة ، أجاب عليها الخادم بكل صدق وبساطة .. وبسبب هذه الإجابات رسخت فى ذهن المخبر السرى ، أن لص البنك هو نفسه «مستر فوج» الذى يركب السفينة «منغوليا» التى ستتوجه إلى ميناء «بومباى» بالهند بعد مغادرتها لميناء السويس .

ولذلك فقد طلب المخبر السرى من القنصل البريطانى أن يصدر أمراً بالقبض عليه .. ولكن القنصل اعتذر بأن هذا الأمر خارج اختصاصه ، ومن المتعين على المخبر أن يستصدر الأمر بالقبض على السارق من رئاسة الشرطة بلندن .

ولما كانت السفينة على وشك مغادرة السويس ، فقد طلب المخبر من القنصل أن يرسل برقية عاجلة إلى رئاسة الشرطة لكل ترسل له أمر القبض على لص البنك فى ميناء بومباى ، وهكذا ركب المخبر السرى السفينة «منغوليا» مع «مستر فوج» وخادمه «باسبارتو» .. وأبحرت السفينة من ميناء السويس متوجهة إلى ميناء «بومباى» بالهند .

وفى أثناء الرحلة البحرية ، تقرب المخبر السرى «مستر فيكس» من الخادم «باسبارتو» .. وعرف منه الكثير من المعلومات عن سيده «مستر فوج» .. عرف انه ذاهب فى رحلة حول العالم فى ثمانين يوماً .. كما عرف أن لدى «مستر فوج» نقوداً كثيرة من الأوراق المالية الجديدة ، وأنه ينفق أمواله ببذخ .. وكانت هذه المعلومات كافية تماماً لتأكيد الفكرة التى شغلت ذهن

المخبر، وهى أن «مستر فوج» هذا هو اللص الذى سرق البنك .. وأنه ينوى الهروب بغنيمته إلى أمريكا عن طريق الشرق .. وأنه يضلل الشرطة بحكاية الرهان مع بعض أصدقائه على إمكانية الدوران حول العالم فى ثمانين يوماً .

● ● ●

وصلت السفينة «منغوليا» إلى ميناء «بومباى» قبل موعدها بيومين ، ففرح «مستر فوج» بذلك .. وعلم أيضاً أن هناك قطاراً يغادر «بومباى» متوجهاً إلى «كالكتا» بشرق الهند فى الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم .. ولما كانت الساعة الرابعة والنصف عصراً ، فقد وجد «باسبارتو» متسعاً من الوقت للتجول فى الشوارع القريبة من ميناء «بومباى» .

وبطبيعة الحال ، فقد كان أول عمل قام به المخبر السرى «مستر فيكس» هو التوجه إلى الشرطة بميناء «بومباى» ليسأل عن وصول أمر القبض على لص البنك الذى طلبه من رئاسة الشرطة بلندن .. وعندما علم بأن هذا الأمر لم يصل بعد ، فقد قرر «مستر فيكس» أن يتعقب «مستر فوج» أينما يذهب ، حتى ولو ذهب معه إلى آخر العالم ، وسوف يقبض عليه فى النهاية.

ولسوء الحظ فقد ارتكب «باسبارتو» مخالفة خطيرة أثناء تجوله فى شوارع «بومباى» حيث دخل ـ دون أن يخلع حذاءه ـ إلى أحد المعابد الهندية المحرم دخولها على الأجانب . وهناك قبض عليه رجال الدين وأوسعوه ضرباً ، وفقد حذاءه وقبعته ، ومع ذلك فقد استطاع اللحاق بسيده فى الدقائق الأخيرة قبل تحرك القطار من «بومباى» إلى «كالكتا» ..

وفى أثناء رحلة القطار الطويلة ، تعرف «مستر فوج» وخادمه على ضابط بريطانى يعمل بجيش الاحتلال بالهند، واسمه «سير فرانسيس كرومارتى»..

وقرب منتصف الطريق ، توقف القطار .. وكان على جميع المسافرين أن ينزلوا من القطار ليأخذوا أية وسيلة أخرى للسفر إلى مدينة «الله أباد» التى تبعد نحو خمسين ميلاً .. وهناك عليهم أن يأخذوا قطاراً آخر ليواصلوا رحلتهم إلى ميناء «كالكتا» .

وحتى لايضيع «مستر فوج» كثيراً من الوقت فى التغلب على هذه المشكلة، اشترى فيلاً ضخماً ليواصل به الرحلة إلى «الله أباد» واستأجر رجلاً هندياً ليقود الفيل عبر الطريق .. ودعا «مستر فوج» الضابط الانجليزى ليركب معه ..

وسار الفيل بركابه فى طريق متعرج شاق عبر الغابات ذات الأشجار الكثيفة .. وبينما كانوا يستريحون قليلاً من وعثاء الطريق وعناء الرحلة ، شاهدوا جنازة رهيبة لأحد أمراء الهنود ، كان يشترك فيها كثير من رجال الدين الهندوس الذين كانوا يمارسون طقوس «السوتى» .. وهى طقوس دينية هندية قديمة كانت تقتضى باحراق الزوجة حية فى نفس المحرقة التى تحرق فيها جثة زوجها المتوفى .

وشاهدوا الزوجة المسكينة وهى تسير شبه مخدرة وراء جثمان زوجها الأمير الهندى .. وبالرغم من حالة الرعب والارهاق ، فقد كانت الزوجة صغيرة فى السن وذات جمال طاغ .. ولذلك فقد قرر الجميع أن يفكروا فى كيفية إنقاذ هذه الفتاة الصغيرة الجميلة من أن تصبح طعمة للنيران التى سيحرقون بها زوجها .

وفكروا فى أكثر من خطة .. وفشلت جميع خططهم ، عدا الخطة الماكرة التى دبرها الخادم «باسبارتو» ونفذها ، حيث استطاع الدخول إلى المعبد

وحمل الفتاة المخدرة ، وهرب بها إلى أصحابه الذين أسرعوا بركوب الفيل والانطلاق به فى دروب الغابة بأقصى سرعة ..

وعندما أفاقت الفتاة وعلمت بكيفية إنقاذها ، شكرتهم واعترفت لهم بهذا الصنيع الجميل الذى أنقذ حياتها .. وأخبرتهم بأن إسمها «عودة» وانها ابنة أحد أثرياء الهنود .. وانها مثقفة وتلقت تعليمها فى انجلترا .

• • •

كان المخبر السرى «مستر فيكس» قد وصل إلى «كالكتا» قبل وصولهم بنحو عدة ساعات .. وهناك دبر قضية لإعاقة هروب «مستر فوج» وخادمه، استناداً إلى الجريمة التى ارتكبها الخادم بدخوله إلى المعبد الهندى فى «بومباى» دون أن يخلع حذاءه .. وحكم القاضى على الخادم بحبسه لمدة أربعة عشر يوماً ، كما حكم على سيده «مستر فوج» بالحبس لمدة سبعة أيام..

وفشلت القضية بعد أن قام «مستر فوج» بدفع كفالة قدرها ألفين من الجنيهات لاطلاق سراحهما .. وهكذا تخلص «مستر فوج» من هذه المشكلة..

وكانت «عودة» فى صحبتهما أثناء نظر القضية وفرحت بالإفراج عن صديقيها .. وربت «مستر فوج» على ذراعها وأخبرها بأنه سيصحبها معهما إلى «هونج كونج» حتى تجد مكاناً آمناً بعيداً عن الهنود الذين يتعقبونها..

وعلى الفور قرر «مستر فوج» أن يركبوا سفينة إسمها «رانجون» كانت على وشك الإقلاع من «كالكتا» إلى «هونج كونج» .. الأمر الذى دعا المخبر السرى أن يركب نفس السفينة حتى لايفلت منه اللص الذى سرق البنك .

وانطلقت السفينة فى طريقها البحرى المعتاد .. مروراً بمضيق مالاكا الذى يفصل بين سومطره والملايو .. وتوقفت بعض الوقت فى سنغافورة لتتزود بالوقود .. وهبت رياح ساعدت السفينة على الانطلاق بأقصى سرعة فى الاتجاه الصحيح .. ولكن الرياح اشتدت بعد ذلك وهبت من الناحية المعاكسة .. وقلت سرعة السفينة إلى حد كبير .. ومع ذلك فقد وصلت السفينة إلى «هونج كونج» متأخرة عن موعدها .

كانت الفتاة «عودة» تظن أن لها عماً يعيش فى «هونج كونج» ويمتلك متاجر هندية كبيرة .. ولكن بعد أن قام «مستر فوج» بالسؤال عن عنوان هذا العم ، قالوا له أن هذا التاجر الهندى الثرى قد رحل من «هونج كونج» ليعيش فى أوربا بعد أن كون ثروة كبيرة .. وبذلك لم يعد هناك مناص من أن يصطحب «مستر فوج» الفتاة «عودة» معه إلى نهاية الرحلة .

وبعد عدة مغامرات غير متوقعة وصل الجميع إلى ميناء «يوكوهاما» باليابان .. ومن هناك استقلوا السفينة «جنرال جرانت» الذاهبة إلى ميناء «سان فرانسسكو» بأمريكا .. وأخذ «مستر فوج» يحسب الوقت المتبقى من الثمانين يوماً .. وتبين له أن فى إمكانه أن يصل إلى لندن فى العشرين من ديسمبر .. أى قبل اليوم المتفق عليه فى الرهان ، وهو اليوم الحادى والعشرون.

وبعد أن وصلوا إلى «سان فرانسسكو» استقلوا القطار الذاهب إلى «نيويورك» فى رحلة طويلة تقطع أمريكا من غربها إلى شرقها ، ويبلغ طولها نحو ٣٧٨٦ ميلاً ، وتستغرق سبعة أيام . وكانت رحلة شاقة حافلة بالمغامرات الخطيرة ، تخللها عبور جسر على وشك الانهيار .. ومرور قطعان

الجاموس الوحشى التى عطلت سير القطار .. كما أوشك «مستر فوج» على الدخول فى مبارزة لولا حدوث هجوم على القطار وركابه قامت به قبائل الهنود الحمر .. وكان من نتيجة هذا الهجوم اختفاء الخادم «باسبارتو» حيث اشترك الجميع فى البحث عنه وانقاذه .. وضاع فى ذلك وقت طويل أثر بالطبع فى حسابات وقت الرحلة . وقد أدى ذلك إلى عدم اللحاق بالسفينة التى أبحرت من نيويورك متجهة إلى ميناء «ليفربول» بانجلترا قبل وصولهم بنحو خمس وأربعين دقيقة !

وشعر الجميع باليأس عدا «مستر فوج» الذى ظل محتفظاً بثباته وهدوء أعصابه .. فقام بالتعاقد مع أحد قباطنة السفن على شراء سفينته «هنريتا» للإبحار بها عبر المحيط الأطلنطى للوصول إلى «ليفربول» فى الوقت المناسب .

وكما هو متوقع فقد حدثت عدة متاعب أثناء رحلة السفينة ، ونفدت كميات الفحم اللازمة لتشغيل الفرن وتوليد البخار اللازم لماكينات السفينة، واضطروا عندئذ إلى إحراق جميع المنشآت الخشبية وكل الأشياء القابلة للإحراق حتى يستمر تزويد السفينة بالبخار .

وما أن وصل الجميع سالمين إلى ميناء «ليفربول» حتى حدثت مفاجأة غير متوقعة، فقد قام المخبر السرى «مستر فيكس» بالقاء القبض على «مستر فوج» باسم القانون ، وباعتباره اللص الذى سرق أموال البنك .. وقد أدى هذا إلى ضياع وقت طويل أفسد جميع حسابات وقت الرحلة .

ثم قام «مستر فيكس» بالإفراج عن «مستر فوج» بعد أن تبين له أنه ارتكب خطأ جسيماً فى اتهام «مستر فوج» بسرقة البنك .. نظراً لأن الشرطة

قد قبضت منذ ثلاثة أيام على اللص الحقيقى الذى اعترف بسرقة البنك .

وبالرغم من محاولات «مستر فوج» فى استئجار قطار خاص للذهاب به من «ليفربول» إلى لندن قبل انقضاء موعد الرهان المتفق عليه .. وبالرغم من السرعة الكبيرة التى سار بها القطار فى رحلته ، فقد وصل القطار إلى لندن فى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق .. وكان معنى ذلك ببساطة أن «مستر فوج» قد خسر رهانه مع أصدقائه من أعضاء نادى الإصلاح !

وعاد الجميع إلى بيت «مستر فوج» بلندن .. وحاول «مستر فوج» أن يعتذر للفتاة «عودة» بأنه قد أصبح فقيراً بعد أن خسر كل شىء، وأنه لن يستطيع أن يضمن لها إقامة طيبة فى لندن .. ولكنه فوجىء بأن «عودة» تعترف له بأنها أحبته بكل قلبها ولاتستطيع أن تتحمل فراقه .. وعندئذ اعترف لها «مستر فوج» بأنه يبادلها حباً بحب .. واتفق الحبيبان على الزواج .

وفى مساء اليوم التالى ، وكان يوم الأحد وفقاً لحسابات الزمن التى أجراها «مستر فوج» فى دفتر أحوال الرحلة .. أمر «مستر فوج» خادمة «باسبارتو» بالذهاب إلى الكنيسة ليتولى الاتفاق مع القس على عقد الزواج فى اليوم التالى ..

ولكن عندما وصل «باسبارتو» إلى الكنيسة ، اكتشف مفاجأة مذهلة .. اكتشف أن اليوم هو اليوم الحادى والعشرون من شهر ديسمبر وليس اليوم الثانى والعشرين كما كان يظن هو وسيده .. وعندئذ أطلق «باسبارتو» ساقيه للريح عائداً إلى بيت سيده ليخبره بهذا الاكتشاف السعيد ..

وهناك أدرك «مستر فوج» أنه أخطأ فى حساب الزمن الحقيقى الذى استغرقته الرحلة .. فقد بدأت الرحلة بالاتجاه نحو الشرق ، أى عكس اتجاه

الشمس .. ومعنى ذلك أن الزمن يصبح أقصر بأربع دقائق كلما عبروا درجة من خطوط الطول الثلاثمائة والستين التى تقسم الكرة الأرضية طولاً .

إذن .. فمازال هناك أمل فى كسب الرهان .. ومازالت هناك بضع دقائق يستطيع أن يكون «مستر فوج» فى نادى الاصلاح فى الموعد الذى حدده فى رهانه بالضبط ..

وكان الأصدقاء المتراهنون متجمعين فى النادى وهم يعدون الدقائق والثوانى .. وكلما مرت ثانية واحدة ازداد أملهم فى كسب الرهان .. ولكن بينما كانت الساعة تدق التاسعة إلا ربعاً .. دخل عليهم «مستر فوج» قائلاً: هأنذا ..!

وهكذا كسب «مستر فوج» رهانه .. وتزوج الفتاة الجميلة «عودة» .. وكان أسعد الناس بذلك ، هو خادمه المخلص «باسبرتو» ..!

روبرت لويس ستيفنسون

دكتور جيكل ومستر هايد

STRANGE CASE OF Dr, JEKYLL AND Mr, HYDE

BY : ROBERT LOUIS STEVENSON

كان مستر «أترسون» المحامى يسير مع صديقه وابن عمه مستر «أنفيلد» فى أحد شوارع لندن عصر يوم الأحد .. وكان هذان الصديقان قد اعتادا أن يقوما بهذه النزهة الاسبوعية فى أيام الآحاد .

كانا يسيران صامتين لايتكلمان إلا نادراً .. ولكن فى تلك المرة توقف مستر «أنفيلد» عن السير ، وأشار بعصاه إلى بيت غريب الشكل ، جداره الخلفى مصمت وخال من النوافذ ، وليس فيه سوى باب صغير تعلوه القذارة ؛ ويبدو كما لو كان قد مرت عليه سنوات طويلة دون أن يقوم أحد بطلائه أو حتى بفتحه .. وقال مستر «أنفيلد» :

ـ إن هذا الباب يذكرنى بحادث غريب وقع فى هذا المكان .. فمنذ مدة كنت أسير ليلاً بالقرب من هنا ، ورأيت رجلاً قصير القامة ذا وجه قبيح يجرى وراء فتاة صغيرة يتراوح عمرها ما بين ثمان وعشر سنوات .. وقام الرجل ذو الوجه القبيح بإلقاء الفتاة على الأرض ، وأخذ يركلها بقدميه بقسوة بالغة .. وكانت الفتاة تصيح وتبكى . وكان بعض الناس قد تجمعوا على صراخ الفتاة ، ومنهم أهل هذه الفتاة وأحد الأطباء .. وعندما فحص الطبيب الفتاة ، تبين أن إصاباتها لم تكن بالغة ولا خطيرة ، ومع ذلك فقد قررنا جميعاً أن يقوم الرجل القبيح بتعويض الفتاة وأهلها عما لحقهم من ضرر، وفرضنا عليه أن يدفع مائة جنيه إلى أسرة الفتاة .

وطلب منا الرجل القبيح أن نصحبه إلى هذا المكان ، ودخل من هذا الباب ، وعاد ومعه عشرة جنيهات وشيكاً بباقى المبلغ المطلوب .. وكان هذا الشيك مفاجأة كبرى ، فقد كان يحمل إسم رجل مشهور ومحبوب فى مدينة لندن .. لذلك فقد عنفت هذا الرجل لأنه قدم شيكاً يحمل إسم رجل آخر .. ولكن الرجل القبيح طلب منا أن نحتفظ به أسيراً حتى صباح اليوم التالى وسيذهب معنا إلى البنك ليصرف الشيك ويعطى الفتاة حقها فى التعويض.. وقبلنا هذا الحل ، وظللنا ساهرين حتى الصباح وتوجهنا معه إلى البنك ، فإذا به يصرف الشيك بكل سهولة . وقد اندهشت لذلك لأن الرجل القبيح كان شريراً، بينما كان الرجل الذى يحمل الشيك توقيعه رجلاً فاضلاً ومعروفاً بأعماله الخيرة .

وهنا سأل مستر «أترسون» المحامى صديقه مستر «أنفيلد» :

ـ هل تذكر إسم هذا الرجل الشرير وكيف كانت ملامحه ؟

أجاب مستر «أنفيلد» :

ـ نعم .. كان إسمه «هايد» أما ملامحه القبيحة فقد كانت تحمل كل معانى الشر وأرجوك ألا تذكرنى بها .

● ● ●

اضطرب ذهن مستر «أترسون» لدى سماعه هذا الإسم .. وعندما عاد إلى منزله، فتح خزانة بمكتبه وأخرج منها ظرفاً كان يتضمن الوصية التى حررها صديقه الدكتور «هنرى جيكل» .. وقرأ الوصية بإمعان أكثر من مرة وهو لايصدق الكلمات القليلة المكتوبة فيها .. كانت الوصية تقول أن

الدكتور «جيكل» يوصى بجميع أمواله وممتلكاته إلى رجل إسمه «إدوارد هايد» وذلك فى حالة وفاة الدكتور «جيكل» أو فى حالة اختفائه لمدة تزيد على ثلاثة شهور.

وأخذ مستر «أترسون» يسائل نفسه : لماذا حرر الدكتور «جيكل» هذه الوصية لهذا الرجل الشرير ؟ .. وهل يتعرض الدكتور «جيكل» إلى خطر أو تهديد من جانب هذا الرجل ؟ .. أليس من الواجب عندئذ أن يتحرى الأمر ويبذل كل مافى وسعه لإنقاذ صديقه الدكتور «جيكل» ؟

لم يضيع مستر «أترسون» كثيراً من الوقت ، وتوجه على الفور إلى بيت الدكتور «لانيون» وهو صديق مشترك لكل من مستر «أترسون» والدكتور «جيكل» .. وحكى له كل مايعرفه من تفاصيل هذا الأمر الغريب .. ولكن الدكتور «لانيون» قال أنه لايعرف من هو هذا الشخص الذى يدعى «إدوارد هايد» .. وقال أيضاً أن صلة الصداقة قد انقطعت بينه وبين الدكتور «جيكل» منذ عدة سنوات ولم يقابله إلا مرات قليلة .. وإنه لاحظ أن الدكتور «جيكل» لم يعد يتصرف كطبيب عاقل ، بل ويبدو أنه قد أصيب بالجنون وفقد عقله.

وهكذا عاد مستر «أترسون» إلى بيته وذهنه أكثر اضطراباً .. وأصبح الحل الوحيد أمامه أن يبحث الأمر بنفسه ، وأن يعرف كل شىء عن هذا الرجل القبيح الشرير «إدوارد هايد» الذى جعل الدكتور «جيكل» يوصى له بكل أمواله.

وظل مستر «أترسون» يراقب الباب الموجود فى الجدار الخلفى لبيت الدكتور «جيكل» عدة أيام ، إلى أن شاهد هذا الرجل القصير القامة ذا

الوجه القبيح وهو يتسلل إلى الباب فى إحدى الليالى ، وعندئذ تقدم إليه ووضع يده على كتفه وقال له : أظن أنك المستر «هايد» .. وأنا صديق للدكتور «هنرى جيكل» وأريد أن أدخل معك إلى هذا البيت لنقابل صديقنا الدكتور «جيكل» .. فهل تسمح لى بذلك ..؟

اندهش الرجل ذو الوجه القبيح ، ولكنه قال بثبات : إنك لن تجد الدكتور «جيكل » الآن .. ودخل من الباب وأغلقه وراءه .. وعندئذ توجه مستر «أترسون» إلى المدخل الأمامى الرئيسى لبيت الدكتور «جيكل» وقال للخادم «بول» إنه يريد أن يقابل سيده لأمر هام .. وأبلغه الخادم بأنه الدكتور «جيكل» ليس موجوداً الآن بالبيت .. فسأل الخادم عن حقيقة العلاقة بين الدكتور «جيكل» ومستر «هايد» .. وقال الخادم إن مستر «هايد» يحضر وينصرف من الباب الخلفى للبيت .. وأن الدكتور «جيكل» أمره وأمر جميع الخدم بأن نلبى كل طلباته .

● ● ●

مر نحو أسبوعين قبل أن يتمكن مستر «أترسون» من مقابلة صديقه الدكتور «جيكل» .. وعندما تمت المقابلة أبدى مستر «أترسون» استياءه من هذا الشخص الشرير المدعو «هايد» وطلب من الدكتور «جيكل» أن يعيد النظر فى الوصية التى كتبها .. ولكن الدكتور «جيكل» أصر على التمسك بتلك الوصية ، وطلب من صديقه المحامى أن يقوم بتنفيذها إذا مات أو اختفى .. بل وطلب منه أن يكون مستر «هايد» محل عطفه ورعايته .. واعترف له الدكتور «جيكل» بأنه يعرف أن مستر «هايد» شخص شرير بالفعل ، ولكن هناك أسباباً تدعوه لأن يتنازل له عن كل أمواله وممتلكاته ..



وإنه سيحاول من جانبه أن يتخلص من مستر «هايد» فى الوقت المناسب ، وعندئذ ستصبح الوصية بلا قيمة وسيستبدلها بوصية أخرى .. وفى النهاية طلب الدكتور «جيكل» من صديقه المحامى ألا يتدخل فى هذا الموضوع الذى يعتبره الدكتور «جيكل» من أخص خصوصياته.

وبعد نحو عام .. حدثت فى لندن جريمة بشعة .. فقد عثر على «السير دانفرز كارو» قتيلاً .. وشهدت خادمة صغيرة بأنها كانت تطل من النافذة مساء يوم الجريمة ، ورأت الرجل النبيل حين كان يعبر الشارع ، وحين تقابل مع رجل قصير القامة له وجه قبيح .. ويبدو أن الرجل النبيل قد سأل الرجل الآخر عن شىء ما .. فإذا بهذا الرجل القبيح يرفع عصاه ويهوى بها على رأس الرجل النبيل فتهاوى على الأرض ، ثم انهال عليه القبيح بالضرب حتى انكسرت العصا التى كان يستعملها من شدة الضربات التى كان يوجهها للقتيل .

وقد عثر مع القتيل على خطاب كان موجهاً لمكتب المستر «أترسون» المحامى ، وعندما تدخل المستر «أترسون» فى الأمر لاحظ أن الأوصاف التى ذكرتها الخادمة الصغيرة تنطبق تماماً على الرجل الشرير القبيح الوجه المدعو مستر «هايد» .. ولاحظ أن الجزء المكسور من العصا التى وجدت بجوار جثة القتيل ، هو فى حقيقة الأمر جزء من عصا ثمينة كان قد أهداها من قبل إلى صديقه الدكتور «جيكل» .. وعندئذ قام على الفور بابلاغ الشرطة باعتقاده بأن القاتل هو «مستر هايد» .

● ● ●

وكان لابد أن يذهب مستر «أترسون» إلى صديقه الدكتور «جيكل»

ليبحث معه مشكلة تورط مستر «هايد» فى جريمة القتل .. ولم يستقبله الدكتور «جيكل» فى مكتبه أو فى غرفة الاستقبال بالمبنى الرئيسى للبيت ، وتمت المقابلة فى غرفة الأبحاث الخاصة بالدكتور والتى تقع فى الجانب الخلفى من البيت .. وكانت نوافذ الحجرة متربة ومغلقة بقضبان حديدية .. وتحتوى الحجرة على العديد من قطع الأثاث ودواليب كثيرة ومرآة كبيرة .. وكان الدكتور «جيكل» جالساً على أحد المقاعد ويبدو كما لو كان مريضاً خائر القوى لدرجة أنه لم يستطع القيام من مقعده ليستقبل ضيفه .

بدأ مستر «أترسون» حديثه عن مستر «هايد» وعن الجريمة البشعة التى ارتكبها .. وعن مدى إمكانية الزج باسم الدكتور «جيكل» فى تلك القضية باعتباره صديقا للمستر «هايد» .. وأن هذا الأمر سيؤثر فى سمعة الدكتور «جيكل» الطيبة فى المجتمع .

وبصوت واهن خفيض قال الدكتور «جيكل» إنه قطع كل علاقة بينه وبين مستر «هايد» .. وإنه بالرغم من ذلك واثق تماماً من أن مستر «هايد» لن يذكر إسمه إطلاقاً فى تلك القضية إذا تم القبض عليه .. وإنه تلقى منه خطاباً يفيده فيه أنه رحل واختفى .. وقدم هذا الخطاب إلى مستر «أترسون» باعتباره المحامى الذى يشرف على مصالحه القانونية .

وعاد مستر «أترسون» إلى مكتبه وأخذ يقرأ الخطاب بقدر كبير من الاهتمام .. وعرض الخطاب على مساعده مستر «جيست» الذى يعمل فى مكتبه ، والذى فحص الخطاب جيداً وقال فى النهاية إنه يشك فى الخط الذى كتب به هذا الخطاب .

وفى تلك اللحظة وصل خطاب قصير من الدكتور «جيكل» يدعو فيه

مستر «أترسون» إلى العشاء معه .. وما أن رأى مستر «جيست» هذا الخطاب حتى قال لمستر «أترسون» أنه يشك فى أن خط دكتور «جيكل» يكاد أن يكون متماثلاً مع الخط الذى كتب به الخطاب المرسل من مستر «هايد» .. وبالرغم من أن تماثل الخطين ليس متطابقاً تماماً ، إلا أنه يشك فى أن الذى كتب الخطابين شخص واحد ..!

اقتنع مستر «أترسون» بكل ما استنتجه مساعده من قراءة الخطابين ، وبالتالى فقد ازدادت حيرته ودهشته .. وطلب من مساعده أن يحتفظ بهذا الأمر كسر من أسرار المكتب ، فوعده مساعده بذلك .

وأخذ مستر «أترسون» يفكر فى كيفية تفسير هذا اللغز .. وهل قام صديقه الدكتور «جيكل» بكتابة الخطاب الموقع باسم مستر «هايد» لمحاولة مساعدة هذا الشخص الشرير على الإفلات من العدالة ؟!

• • •

وبعد اختفاء مستر «هايد» على هذا النحو ، عاد الدكتور «جيكل» إلى ممارسة حياته العادية الطبيعية ، وبدأ فى استقبال مرضاه من جديد بعد أن كاد أن يغلق العيادة .. وكان يبدو سعيداً للغاية وهو يستقبل أصدقاءه ويدعوهم إلى العشاء والمسامرة .

ولكن هذه الحالة لم تستمر سوى نحو شهرين ، ثم انقطع الدكتور «جيكل» عن مقابلة الناس ، ولزم حجرة الأبحاث فى بيته لايبرحها إطلاقاً .. بل ورفض أن يقابل مستر «أترسون» الذى حاول مقابلته عدة مرات للاطمئنان على أحواله .. وعندئذ اضطر مستر «أترسون» مرة أخرى إلى التوجه إلى صديقهما المشترك الدكتور «لانيون» .

كان الدكتور «لانيون» مريضاً ومكتئباً عندما تمت المقابلة .. وما أن فتح مستر «أترسون» موضوع الحالة الغريبة التى طرأت على حياة الدكتور «جيكل» حتى صاح الدكتور «لانيون» بغضب طالباً منه السكوت وعدم الاستمرار فى أى حديث يخص الدكتور «جيكل» من بعيد أو قريب .. وأبلغه بأنه قطع كل علاقة تربطه بالدكتور «جيكل» الذى يبدو وكأنه فقد عقله .. وبالتالى فقد ازدادت حيرة وشكوك مستر «أترسون» فى أمر صديقيه الحميمين دكتور «جيكل» ودكتور «لانيون» .

ولم يمض وقت طويل حتى توفى الدكتور «لانيون» .. وأسرع مستر «أترسون» بفتح وصيته التى كان يحتفظ بها فى مكتبه .. وكانت الوصية محفوظة بداخل ظرف مغلق كتب عليه : «سرى جداً .. خاص بالمستر أترسون المحامى وحده » .. وبداخل هذا الظرف وجد ظرفاً آخر مغلقاً بالشمع الأحمر ومكتوب عليه : «لايفتح إلا بعد موت الدكتور جيكل أو بعد اختفائه إلى الأبد» !

اندهش مستر «أترسون» لأن هذه الكلمات شديدة الشبه بما جاء فى وصية الدكتور «جيكل» بشأن الموت أو الاختفاء إلى الأبد .. ولكن لماذا قرر الدكتور «لانيون» ألا تفتح وصيته إلا بعد موت الدكتور «جيكل» أو اختفائه ؟ .. وماذا كتب ياترى فى تلك الوصية ؟ .. وبطبيعة الحال لم يجسر مستر أترسون على فتح الظرف المغلق لأن الوقت لم يحن بعد ..

وعرف مستر «أترسون» بعض الأخبار عن صديقه الدكتور «جيكل» عن طريق خادمه «بول» الذى أخبره بأن سيده لايغادر حجرة الأبحاث ، وينام فيها وحيداً ، ويبدو أنه يعانى من مشكلة كبيرة واضطراب عقلى .

● ● ●

وفى يوم الأحد التالى كان مستر «أترسون» يقوم بنزهته الأسبوعية المعتادة مع صديقه مستر «أنفيلد» .. وعندما وصلا إلى الباب المعروف لديهما جيداً ، توقف الصديقان حين لاحظا أن الدكتور «جيكل» يطل عليهما من النافذة ذات القضبان الحديدية .. واندهش مستر «أترسون» حين لاحظ أن الدكتور «جيكل» قد وجه إلى الصديقين بعض الكلمات الطيبة .. ولكن على حين فجأة ، حدث شىء غريب ومخيف ..

لقد تبدلت ملامح الدكتور جيكل فجأة واختفت الابتسامة من وجهه كما لو كان قد أصيب برعب مفاجىء من شىء ما أو من شخص ما .. ثم سرعان ما أغلق النافذة واختفى .

لم يستطع الصديقان أن يفعلا شيئاً ، وواصلا سيرهما صامتين دون أن ينطق أحدهما بكلمة من شدة مالحق بهما من دهشة واضطراب .

وفى المساء فوجىء مستر «أترسون» بحضور «بول» خادم الدكتور «جيكل» وهو ينتفض من شدة الرعب .. وقال للمستر «أترسون» أنه يخشى أن يكون الدكتور «جيكل» قد تعرض لجريمة قتل .. وطلب منه أن يأتى معه إلى البيت ليتحرى الأمر بنفسه .

وهناك توجها فوراً إلى حجرة الأبحاث التى تقع فى الجانب الخلفى من البيت .. وقام الخادم بطرق باب الحجرة ليبلغ الدكتور «جيكل» بأن مستر «أترسون» حضر إلى البيت ويريد أن يراه لأمر هام .. وجاء صوت من داخل الحجرة آمراً الخادم بالانصراف ومعلناً أنه لايريد أن يقابل أحداً .

وعندئذ همس «بول» فى أذن مستر «أترسون» : سيدى .. هل هذا الصوت الذى سمعناه الآن هو صوت الدكتور «جيكل» ؟.. أنه صوت

لايمت إلى نبرات صوت الدكتور «جيكل» بأدنى صلة .. فصوت من هذا إذن ..؟!

وقال «بول» أيضاً أن من الواضح أن سيده الدكتور «جيكل» قد قتل منذ عدة أيام .. وأن آخر مرة سمع فيها صوت سيده كانت حين صرخ صرخات فزعة ، ثم لاذ بالصمت ورفض أن يفتح الباب حينما حاول الخدم الدخول إلى الحجرة وطلب منهم الانصراف .. فمن ذا الذى بداخل حجرة الأبحاث الآن .. ؟!

وفى صالة الاستقبال بالبيت ، واصل مستر «أترسون» والخادم «بول» حديثهما حول هذا الموضوع الغريب .. وقال الخادم «بول» أن سيده كان يرسله فى الأيام الأخيرة إلى بعض الصيدليات لشراء كميات من دواء معين .. وأنه اشترى له كميات كبيرة من هذا الدواء .. ثم أدلى باعتراف آخر أثار فزع المستر «أترسون» .. فقد قال أنه رأى سيده ذات مرة وقد وضع على وجهه قناعاً ليخفيه .. وأنه لاحظ أن سيده قد أصبح أقصر قامة وأضأل جسماً ، ويمشى بخطوات سريعة مثل قفزات الحيوان .. ولذلك فإنه على يقين تام بأن سيده قد قتل وأن الشخص الموجود فى غرفة الأبحاث الآن تنطبق عليه كل أوصاف المستر «هايد» !

وعندما سمع مستر «أترسون» هذه الكلمات المفزعة ، قرر على الفور أن يقتحم حجرة الأبحاث بأية طريقة ولو أدى ذلك إلى تحطيم الباب .. وتوجه الاثنان على الفور إلى تلك الحجرة .. وصاح مستر «أترسون» : يادكتور جيكل .. إفتح الباب سواء أكنت تريد أن تقابلنى أو لاتريد .. إفتح الباب وإلا سوف اضطر إلى تحطيمه !

وجاء صوت غريب من الداخل منادياً : يا مستر أترسون .. إذهب الآن بحق الله ودعنى فى حالى !

وهنا بدأ مستر «أترسون» والخادم «بول» فى تحطيم الباب .. واستغرق ذلك بعض الوقت حتى انهار الباب فى النهاية .. ودخل الاثنان إلى الحجرة فوجدا مستر «هايد» ممدداً على الأرض ميتاً .. وكان يمسك فى يده زجاجة سم قوى يبدو أنه شربها عن آخرها حين شعر بأن الباب سيتحطم فعلاً .

وفتش الاثنان حجرة الأبحاث ركناً ركناً للبحث عن جثة الدكتور «جيكل» ولكنهما لم يعثر لها على أثر ، ووجدا على المكتب مجموعة من الأوراق موضوعة بداخل ظرف كبير مفتوح ومعنون باسم مستر «أترسون» المحامى .. وكانت إحدى هذه الأوراق تتضمن وصية جديدة كتبها الدكتور «جيكل» بخط يده ، يوصى فيها بجميع أمواله إلى صديقه مستر «أترسون»!!

كانت هذه الوصية مفاجأة كاملة لأنها زادت الأمور غموضاً وتعقيداً .. فلماذا غير الدكتور جيكل وصيته الأولى التى كانت توصى بأيلولة أمواله إلى مستر «هايد» ؟ .. ولماذا لم يقم مستر «هايد» باحراق تلك الوصية قبل موته ولو على سبيل الانتقام أو الاحتجاج ..؟!

وكانت هناك ورقة أخرى بداخل الظرف عبارة عن رسالة موجهة من الدكتور «جيكل» إلى مستر «أترسون» يخبره فيها بأنه يحس بدنو أجله واقتراب نهايته ، ويطلب منه أن يقرأ جميع الأوراق الأخرى الموضوعة بداخل الظرف ، وأن يقرأ أيضاً أية أوراق يكون قد تركها لديه الدكتور «لانيون» .

ولم يكن أمام مستر «أترسون» أن يفعل شيئاً سوى حمل كل هذه الأوراق

والتوجه فوراً إلى مكتبه .. وهناك فتح الخزانة الحديدية وأخرج الظرف الذى تركه الدكتور «لانيون» وفتحه ، وبدأ يقرأ أغرب مايمكن أن يقرأه إنسان فى حياته .

كتب الدكتور «لانيون» تفاصيل المأساة التى تعرض لها صديقه الدكتور جيكل .. فقد تلقى منه رسالة مكتوبة بخطه ، طلب منه فيها أن يتوجه إلى حجرة الأبحاث فى بيته وأن يحضر معه محتويات الدرج الرابع من أدراج الدولاب الكبير .. وأن يأمر جميع الخدم بمنزله بالانصراف وينتظر شخصاً ما سيحضر إلى مقابلته عند منتصف الليل .. وأن عليه أن يحتفظ بجميع هذه الأسرار لنفسه وألا يطلع عليها أحداً .

وكتب الدكتور «لانيون» أيضاً أن رسالة الدكتور «جيكل» هذه جعلته على يقين بأن صديقه قد أصيب بالجنون وفقد عقله .. ومع ذلك فقد قام بتنفيذ كل ماطلب منه فى تلك الرسالة ، وجلس فى مكتبه منتظراً الشخص الذى سيحضر إليه عند منتصف الليل .. وفى الموعد المحدد بالضبط ، سمع طرقاً على باب البيت ، ففتح الباب وإذا به يرى شخصاً قصير القامة ضئيل الجسم قبيح الوجه تبدو ملامحه كحيوان متوحش .

دخل هذا الرجل الغريب إلى مكتب الدكتور «لانيون» وكان خائفاً يرتعش جسمه من شدة الخوف .. ومن أن شاهد محتويات الدرج حتى طلب من الدكتور «لانيون» أن يحضر له كوباً زجاجياً .. ثم أخذ إحدى الأوراق الملفوفة من محتويات الدرج وأفرغ مافيها من مسحوق فى هذا الكوب ، ثم التقط من محتويات الدرج أيضاً زجاجة كانت تحتوى على سائل أحمر اللون ذى رائحة نفاذة ، وصب فى الكوب بعضاً من هذا السائل

.. وفى الحال حدث تفاعل يشبه الغليان بين المادتين وظهرت فقاقيع كثيرة .. وقبل أن يفرغ الرجل القبيح هذا المزيج فى جوفه طلب من الدكتور «لانيون» أن يقسم بأنه لن يبوح بسر ماسوف يراه لأحد إلا بعد موت صديقه الدكتور «جيكل» أو اختفائه .. فأقسم الدكتور «لانيون» على ذلك .

وما أن شرب الرجل القبيح محتويات الكوب حتى أطلق صرخة حيوانية ثم ارتمى على الأرض وهو يتلوى .. وبدأ جسمه فى التضخم كما تغيرت ملامحه القبيحة .. وإذا به يشاهد أمامه أغرب ما شاهده فى حياته كلها .. لقد رأى صديقه الدكتور «جيكل» يقف أمامه بلحمه وشحمه بدلاً من الرجل ذى الوجه القبيح ..!!

ويختم الدكتور «لانيون» هذه القصة الغريبة بأنه بعد أن رأى ما رأى وسمع ما سمع ، أصبح لايصدق نفسه ، وانتابه الخوف والفزع وأصبح لايستطيع النوم وأحس بأن حياته قد قربت نهايتها .. واضطر إلى كتابة هذه الرسالة وإيداعها بمكتب صديقه مستر «أترسون» المحامى بداخل ظرف مغلق بالشمع الأحمر ، وكتب على الظرف تحذيراً بعدم فتحه إلا بعد موت الدكتور «جيكل» أو اختفائه .

● ● ●

ارتاع مستر «أترسون» وشعر بمزيد من الخوف والفزع بعد قراءة تلك الرسالة .. ومع ذلك فقد كان عليه أن يقرأ أيضاً بقية الأوراق الأخرى التى تركها الدكتور «جيكل» بغرفة الأبحاث بمنزله .. وتضمنت هذه الأوراق مذكرات ومعلومات كتبها الدكتور «جيكل» بنفسه لتوضيح وإجلاء كل الغموض الذى أحاط بهذه القصة الغريبة .

كتب الدكتور «جيكل» انه اكتشف منذ وقت مبكر فى حياته أن كل إنسان يتكون من شخصين متناقضين .. وأن كل إنسان يشعر أحياناً بحدة الصراع بين جانب الخير وجانب الشر بداخله .. وهو الصراع بين الشخص الشرير والشخص الخير الكامنين فى أعماق كل إنسان .. وأنه منذ لحظة اقتناعه بهذا الاكتشاف ، عكف على دراسة المواد الكيميائية بغرض الوصول إلى تركيبة دوائية يمكنها أن تفصل الشخص الشرير عن الشخص الخير .. وواصل أبحاثه حتى اهتدى فى النهاية إلى تركيب هذا الدواء .

وعندما شرب الدكتور «جيكل» هذا الدواء فى أول تجربة ، شعر على الفور بآلام شديدة جعلته يصرخ كالحيوان ، ثم ارتمى على الأرض وأخذ جسمه يتضاءل وتغيرت ملامح وجهه .. لقد أصبح فى لحظات شخصاً شريراً وأطلق على نفسه إسماً جديداً هو «إدوارد هايد» .

وهكذا انطلق «هايد» الشرير من عقال جسم الدكتور «جيكل» .. وأصبح يرتكب الشرور كلما وجد إلى ذلك سبيلاً ، بدءاً من جريمة ضرب الفتاة الصغيرة حتى مقتل النبيل الانجليزى «سير دانفرز كارو» .. وبعد ارتكاب كل هذه الشرور ، كان مستر «هايد» يتوجه إلى الباب الخلفى المؤدى إلى حجرة الأبحاث ، ويشرب مزيجاً مضاداً فيعود مرة أخرى إلى شخصية الدكتور «جيكل» الخيرة الطيبة .

ولكن الدكتور «جيكل» كان يخشى أن تفشل التجربة فى إحدى المرات فلا يستطيع أن يعود إلى شخصيته الخيرة مرة أخرى .. ولذلك فقد كتب تلك الوصية الغريبة التى يوصى فيها بجميع أمواله وممتلكاته إلى مستر «هايد» .. وذلك فى حالة وفاة الدكتور «جيكل» أو اختفائه إلى الأبد .

وتأكدت مخاوف الدكتور «جيكل» حين أصبح التحول من شخصية مستر «هايد» الشريرة إلى شخصية الدكتور «جيكل» الطيبة أمراً بالغ الصعوبة ، ويتطلب المزيد من جرعات الدواء ، إلى أن واجهته فى النهاية حقيقة مفزعة هى استحالة عودته إلى شخصية الدكتور «جيكل» مرة أخرى.

وهكذا انتهى مصيره إلى سجن نفسه بحجرة الأبحاث بمنزله يحاول عبثاً أن يعود إلى شخصية دكتور «جيكل» دون جدوى .. بل وأصبح يشعر بقرب نهايته أيضاً باعتباره المستر «هايد» .. ولذلك فقد غير وصيته ، وأوصى بكل أمواله إلى صديقه مستر «أترسون» المحامى .

وظل مستر «هايد» منتظراً لحظة انتهاء حياته ولو بالانتحار ، فأعد زجاجة من السم القوى القاتل .. وشرب كل محتويات هذه الزجاجة حين بدأ مستر «أترسون» والخادم «بول» فى تحطيم باب حجرة الأبحاث للقبض عليه .

وبهذا الموقف المأساوى انتهت حياة الشخصين اللذين كانا كامنين فى شخص واحد .. الدكتور «جيكل» ومستر «هايد» ..!!

أنتـونى هــوب

سجـين زنـدا

THE PRISONER OF ZENDA

BY : ANTONY HOPE

إسمى «رودلف راسنديل» .. وأسرتى عريقة وغنية .. أحب السفر وأجيد التحدث باللغة الألمانية وأتكلمها بطلاقة مثل اللغة الانجليزية وهى لغتى الأصلية ، كما أجيد الفرنسية أيضاً .. وأجيد المبارزة بالسيف والتصويب بالمسدس وركوب الخيل .. وأعصابى هادئة وباردة بالرغم من الشعر الأحمر الملتهب الذى يغطى رأسى .

وفى يوم ما أخبرتنى زوجة أخى أن «السير جاكوب بورروديل » ـ وهو من أصدقاء الأسرة ـ سيعين سفيراً بعد ستة شهور ، وأنه يريد أن يأخذنى معه لأعمل كملحق دبلوماسى بالسفارة التى سيعين فيها .. فقبلت العرض إكراماً لزوجة أخى .

وقررت فجأة أن أقوم بإحدى رحلاتى المسلية حتى يحين موعد عملى بالسفارة .. وكنت قد قرأت فى الصحف أن «رودلف الخامس » سيتوج ملكاً على دولة «روريتانيا» التى تقع على الحدود بين النمسا وألمانيا وأن حفل التتويج سيتم فى «استرلسو» عاصمة تلك الدولة خلال الأسابيع الثلاثة القادمة ، وهكذا عزمت على زيارة «روريتانيا» .. ولكنى لم أخبر أحداً من أسرتى بذلك .. أخبرتهم فقط بأنى سأذهب فى رحلة إلى جبال الألب ، وسوف أضع كتاباً عن الأوضاع والمشاكل السياسية والاجتماعية فى المنطقة التى سأزورها .

وذهبت أولاً إلى باريس لاستقل منها القطار الذاهب إلى «روريتانيا» .. وفى المحطة قدمنى أحد الأصدقاء إلى سيدة جميلة أنيقة ذات شعر أسود إسمها «مدام انطوانيت دى موبان» .. وقال لى أن هذه السيدة محل اهتمام «الدوق مايكل» شقيق الملك «رودلف» الذى سيتم تتويجه ملكاً على «روريتانيا» . وأنها ذاهبة إلى العاصمة «استرلسو» لحضور حفل التتويج .. غير أنى لم أهتم بتلك السيدة ولم تهتم هى الأخرى بى ، بالرغم من إننا ركبنا نفس القطار الذاهب إلى «روريتانيا» ..

وعندما وصلنا إلى منطقة الحدود ، نظر إلى ضابط الجوازات بدهشة شديدة وهو يتفحص جواز سفرى .. وهناك علمت أنه من الصعب أن أجد الآن مكاناً للإقامة فى العاصمة «استرلسو» لشدة الزحام .. لذلك فقد قررت النزول فى بلدة «زندا» . وهى بلدة صغيرة تقع بالقرب من العاصمة لكى أقضى بها يوم الغد «الثلاثاء» لمشاهدة قلعتها القديمة الشهيرة ، ثم أذهب إلى العاصمة يوم الأربعاء لحضور حفل التتويج والعودة إلى زندا مساء نفس اليوم .

وفى الفندق الصغير ببلدة زندا استقبلتنى صاحبة الفندق بدهشة .. وأعجبت إبنتاها الشابتان بشعرى الأحمر . وهناك علمت أن صاحبة الفندق تؤيد «الدوق مايكل» وتتمنى أن يصبح هو الملك على روريتانيا ، وأن يتم تتويجه هو بدلاً من أخيه «رودلف» .. وعلمت أيضاً أن «الدوق مايكل» هذا مشهور بإسم «مايكل الأسود» .. وأنه ينافس أخاه فى أمرين هما الجلوس على عرش البلاد ، والزواج بابنة عمهما «الأميرة فلافيا» ..

وفى اليوم التالى قمت بنزهة فى الغابة ، وشاهدت القلعة .. وهناك تعرفت

على «الكولونيل سابت» و«فريتزفون تارلنهايم» وهما من أعوان الملك رودلف الذى سيتم تتويجه فى اليوم التالى .. وعلمت منهما أنهما مندهشان لشدة الشبه بين ملامحى ولون شعرى وملامح ولون شعر الملك .. كما أن طول قامتى مماثل تماماً لطول قامته .. غير أن الاختلاف الوحيد بيننا هو لحيتى الصغيرة .

وكان الملك رودلف يتريض فى مكان قريب .. وعندما وصل إلينا فوجىء بى وكاد يصاب بالذهول لتطابق الشبه بينى وبينه .. ومع ذلك فقد دعانى الملك رودلف إلى العشاء قائلاً لى ولصديقيه أنه يعتبرنى أخاً جديداً له .

وذهبنا جميعاً إلى كوخ صيد مصنوع من الخشب ومقام عند أطراف الغابة .. وهناك بدأنا فى تناول العشاء وشرب النبيذ ..

وقرب نهاية العشاء ، أحضر الخادم «جوزيف» زجاجة من النبيذ المعتق وقدمها إلى الملك قائلاً إنها هدية له من أخيه الدوق مايكل ، وتناول الملك الزجاجة وشربها عن آخرها .. ثم سرعان ماسقط مغشياً عليه .. واتضح لنا أن زجاجة النبيذ كانت تحتوى على مخدر يجعل شاربها عاجزاً عن الحركة لمدة طويلة .

وعندئذ التفت إلى الكولونيل سابت وقال إن القدر أرسلنى لأنقذ المملكة .. وأن على أن أحلق لحيتى الصغيرة لكى أبدو مثل الملك رودلف تماماً .. وأن أذهب غداً إلى العاصمة ليتم تتويجى وكأننى الملك رودلف نفسه .. وذلك حتى يفيق الملك من غيبوبته .. وإذا لم نفعل ذلك فسوف يعلن الدوق مايكل أن الملك رودلف لم يستطع الحضور إلى حفل تتويجه لأنه

سكران .. وسوف يعلن نفسه ملكاً على البلاد .. ويتم تتويجه هو بدلاً من أخيه صاحب الحق الشرعى .. ومن المؤكد أنه سيأمر بسجن الملك طوال حياته ، بل وربما سيأمر بقتله .

وبالرغم من خطورة هذه العملية فقد وافقت على الذهاب إلى العاصمة ليتم تتويجى نيابة عن الملك المغمى عليه .. وهكذا حملنا الملك وأخفيناه فى قبو النبيذ بأسفل الكوخ ، كما قمنا بتقييد الخادمة أم «جوهان» وحبسناها فى غرفة مجاورة ، لأننا كنا نشك فيها .

• • •

حلقت لحيتى وارتديت ملابس الملك البيضاء .. وارتدى الكولونيل سابت وفريتز ملابسهما الرسمية وركبنا القطار الذاهب إلى العاصمة .. وفى أثناء الطريق شرح لى الاثنان جميع المعلومات التى يجب أن أعرفها باعتبارى ملكاً على روريتانيا .. وعندما وصلنا إلى العاصمة استقبلونا استقبالاً صاخباً..

كان من الواضح أن كلا من شعب وجيش روريتانيا منقسم على نفسه .. قسم يؤيد الملك .. وقسم آخر يؤيد أخاه الدوق مايكل الأسود .. ومع ذلك فقد سار الموكب بسلام حتى وصلنا إلى الكاتدرائية .. حيث كان جميع رجال الدولة حاضرين وعلى رأسهم «أخى» الدوق مايكل ، ورئيس الوزراء، والماريشال «ستراكينز» قائد الجيش .. وتمت إجراءات التتويج ، ووضعت التاج على رأسى دون أن يشك أحد فى حقيقة أمرى .. ولاحظت أن الدوق مايكل كان يقف مذهولاً ويرتجف كورقة شجرة تهزها الرياح ..

وتقدمت إلى فتاة رقيقة رائعة الجمال ، عرفت عنها أنها «إبنة عمى» الأميرة

فلافيا .. وعندما انتهى الاحتفال بتتويجى ، ركبت الأميرة معى فى العربة الملكية .. وهمست لى بأنها لاحظت أنى أبدو متغيراً بعض الشىء وأصبحت أكثر جدية .

وعندما وصلنا إلى القصر الملكى أقيم احتفال صغير آخر .. ثم انتحيت مع الكولونيل سابت وفريتز داخل إحدى الحجرات .. لكى نتفق على ماسوف نتخذه من خطوات تالية ، وقررنا أن يبقى فريتز بداخل هذه الحجرة ولايفتح الباب لأحد مهما كان شأنه بدعوى أن الملك نائم ويريد أن يستريح .. كما قررنا أن نتخفى أنا والكولونيل سابت فى ملابس الخدم لنتوجه مباشرة إلى كوخ الصيد الذى أخفينا فيه الملك الحقيقى لنحضره إلى القصر ليباشر سلطاته الشرعية بعد أن يكون قد أفاق من حالة التخدير التى تعرض لها .

• • •

ولكن عندما وصلنا إلى الكوخ فوجئنا باختفاء الملك رودلف وبعدم وجود المرأة العجوز التى حبسناها ، كما فوجئنا بمقتل الخادم المخلص جوزيف !

كانت هذه المفاجآت مذهلة .. وأخذنا نفكر فى الأمر .. ورأينا ضرورة الرجوع إلى العاصمة واستمرارى فى تمثيل دور الملك إلى أن تتكشف حقائق الموقف فيما بعد . وبطبيعة الحال فقد أصبح من اليقين أن الدوق مايكل الأسود ورجاله قد عرفوا سرّنا .. وأنهم لن يجسروا على قتل الملك ويتركوننى جالساً على العرش .. فإذا فعلوا ذلك فسوف يكون الأمر فضيحة لهم وسوف ينكشف للشعب سر تآمرهم ضد الملك منذ البداية .

وما كدنا نهم بالخروج من الكوخ حتى فوجئنا بمجموعة من الفرسان كان

مايكل الأسود قد أرسلهم لإخفاء جريمة قتل الخادم جوزيف .. فاشتبكنا معهم فى معركة انتصرنا فيها عليهم ولكنى أصبت برصاصة جرحت يدى .

• • •

وصلنا إلى القصر المالكى .. وقضيت يوماً متعباً قمت فيه بواجباتى كملك لروريتانيا .. وقابلت عدداً من السفراء .. وعندما جاء المستشار ليعرض على عدة قرارات ، اعتذرت عن التوقيع عليها متذرعاً بجرح يدى .. وقابلت الأميرة فلافيا التى أخذت تحذرنى من مؤامرات وألاعيب أخى الدوق مايكل الأسود .

• • •

وبعد عدة أيام وصلنى خطاب من مدام انطوانيت دى موبان تطلب فيه مقابلتى لأمر فى غاية الأهمية .. وبالرغم من شكوكى فى هذه السيدة باعتبارها صديقة للدوق مايكل إلا أنى قررت الذهاب إلى المكان الذى حددته وفى الموعد الذى حددته .. وصحبنى فى هذه الزيارة الكولونيل سابت الذى وقف ينتظر فى الخارج .

وفوجئت بأنها تعترف لى بأنها قد كتبت خطابها بأمر من الدوق .. وأخبرتنى بأن ثلاثة من الرجال سيحضرون إلى هنا بعد حوالى عشرين دقيقة .. وأن هؤلاء الرجال سيقتلوننى فوراً .. وبعد ذلك سيقوم الدوق مايكل باعلان الأحكام العرفية فى البلاد .. وسيسيطر على الجيش ويعلن نفسه ملكاً على البلاد وسيتزوج الأميرة فلافيا .

وفهمت طبعاً أن الغيرة والغيظ قد دفعا هذه السيدة لإخبارى بهذا السر انتقاماً من الدوق مايكل الذى سينصرف عنها ويتزوج الأميرة .

وقبل انصرافى وصل هؤلاء الرجال الثلاثة وعرضوا على فى البداية رشوة قدرها خمسين ألف جنيه بالإضافة إلى ضمان خروجى من البلاد آمنا .. ولكنى رفضت العرض .. فعزموا على قتلى باطلاق النار تجاهى ، ولكنى تمكنت من الافلات منهم بعد أن قذفت فى وجوههم مائدة حديدية ثقيلة .. ثم عدنا أنا والكولونيل إلى القصر الملكى سالمين .

• • •

وكان الكولونيل سابت قد طلب منى أن أبدو لطيفاً مع الأميرة فلافيا ولو بصفة مؤقتة إلى أن نتمكن من إنقاذ المملكة بابعاد الدوق مايكل الأسود عن العرش ، حتى ولو اقتضى الأمر إن أبقى ـ أنا ـ ملكاً للبلاد .

والحقيقة أنى أصبحت ضعيفاً جداً أمام جمال الأميرة ورقتها ، وأصبحت أشعر بحب حقيقى أخذ يتسلل إلى قلبى .. وعندما قابلتها فى إحدى الحفلات الراقصة التى كانت تقام فى القصر الملكى ، وبدأنا نتبادل أحاديث الهوى .. اعترفت لى بأنها لم تكن تحبنى من قبل يوم التتويج ، لأنها شعرت بأنى تغيرت وتحسنت .. وكان معنى هذا الكلام أن الأميرة قد وقعت فى حبى أنا «رودلف راسنديل» وليس فى حب الملك الحقيقى «رودلف الخامس» .. إنها إذن تحبنى لشخصى .. وكدت عندئذ أن أصرح لها بحقيقة كل شىء .

• • •

ولكنى لم أكن أحب استمرارى فى خداع الأميرة فلافيا إلى هذا الحد .. وطلبت من الكولونيل سابت ضرورة الاسراع إلى «زندا» لانقاذ الملك ..



ولابد من وضع خطة للهجوم على القلعة التى سجن بها الملك وتحريره من الأسر وإعادته إلى عرش بلاد .

وهكذا أعلنا رسمياً إننا ذاهبون إلى رحلة صيد .. بينما توجهنا فى حقيقة الأمر إلى قلعة تارلنهايم المملوكة لأحد أعمام «فريتز».. وقررنا أن نتخذها قاعدة للهجوم على قلعة زندا التى تبعد عنها بنحو خمسة أميال .

وبطبيعة الحال فقد شاع خبر وجودنا ووصل إلى أسماع الدوق مايكل ورجاله الذين يحبسون الملك فى قلعة زندا الحصينة .. وللغرابة الشديدة وبجرأة متناهية جاءنى أحد رجال الدوق مايكل وهو المدعو «روبرت هنتزو» ليعرض على رشوة قدرها مائة ألف جنيه مع ضمان توصيلى آمنا إلى الحدود .. وكان يكلمنى بصراحة وينادينى باسمى الحقيقى «رودلف راسنديل» .. بل وأطلق على لقب «ممثل المسرحية» .. وعندما رفضت هذا العرض أخبرنى بأنهم سوف يقتلون الملك فوراً إذا أقدمنا على مهاجمة القلعة .. وبحركة مفاجئة غادرة طعننى بخنجر كان يخفيه طعنة جرحت كتفى اليسرى .. ولولا سرعة تصرفى لكانت هذه الطعنة الغادرة قد استقرت فى قلبى . .

ومرت الأحداث سريعاً .. واستطعنا الحصول على كافة المعلومات المتعلقة بالمكان الذى سجن فيه الملك بداخل القلعة .. وكيفية الوصول إلى هذا المكان .. كما علمنا بكل تفاصيل خطة الدوق مايكل ورجاله لمواجهة هجومنا على القلعة .. وأنهم سوف يقتلون الملك سواء عند نجاح هجومنا أو فشله .

وتوالت سلسلة الأحداث بعد ذلك ، فقد ازداد حبى للأميرة وازداد

تعلقها بى .. كما وقعت بعض المناوشات والمنازلات بين رجالى ورجال الدوق مايكل .. بل وجاءنى «روبرت هنتزو» مرة أخرى ليعرض على عرضاً فى منتهى النذالة والغدر .. قال لى أنه معجب بى لأنى انجليزى مغامر مثله .. وأنه يريد أن يعمل معى بعد أن نتخلص من بعض رجالى وجميع رجال الدوق مايكل الآخرين ومن الدوق نفسه .. وهكذا يخلو لنا الجو فأتمتع أنا بالجلوس على عرش روريتانيا وبالفوز بالأميرة فلافيا .. ويصبح هو مستشارى الأول ويفوز وحده بمدام انطوانيت دى موبان التى ينافسه الدوق فى حبها .. والحقيقة إنى لم أقابل فى حياتى كلها شخصاً أكثر نذالة وخسة من هذا المدعو «روبرت هنتزو» .

ووصلتنى رسالة سرية موقعة من انطوانيت دى موبان تقول فيها أنها كما حذرتنى مرة من المؤامرات التى تدبر ضدى فهى ترجونى هذه المرة أن أعمل على تخليصها من قلعة زندا التى تعتبرها بيتاً للمتآمرين السفاحين .

● ● ●

ومن أغرب الأحداث التى وقعت ، اشتداد الصراع بين الدوق مايكل وروبرت هنتزو الذى اقتحم غرفة انطوانيت دى موبان فى إحدى الليالى ليعرض عليها حبه ، فإذا بها تستغيث لأنها كانت تحتقر روبرت هنتزو ولا تطيقه ، وعندما جاء الدوق لنجدتها وقع عراك بينه وبين روبرت هنتزو أدى إلى مقتل الدوق فى النهاية .

وانتهت الأحداث الصعبة الدامية بنجاحنا فى اقتحام القلعة وإنقاذ الملك السجين فيها .

وكنت قبل ذلك قد أبلغت الأميرة فلافيا بأنى لست إبن عمها الملك

رودلف الخامس .. وإنما أنا انجليزى من أسرة عريقة وإسمى رودلف راسنديل .

وكان النذل روبرت هنتزو قد تمكن من الفرار قبل أن ألحق به لأعاقبه على خسته ونذالته .

وعندما قابلت الملك الحقيقى فى الحجرة التى يرقد فيها مريضاً .. خلعت خاتم الملك من إصبعى ووضعته فى إصبعه .. وأخبرته بأنى حافظت على شرف هذا الخاتم حتى ولو اقتضى الأمر التضحية بحياتى .

وشكرنى الملك بصوت ضعيف واهن على كل ما صنعته من أجل المحافظة على العرش وإنقاذ حياته .. واعترف لى بأننى علمته كيف يصبح ملكاً جديراً بحكم شعبه .. وخرجت من الحجرة بعد أن ودعته بحرارة .

وفى خارج الحجرة فوجئت بوجود الأميرة فلافيا التى اعترفت لى بأنها مازالت تحبنى بالرغم من كل شىء .. وإنها تريد أن ترحل معى .. واعترفت لها بأنى أحببتها حباً صادقاً سيبقى ذكرى طيبة فى قلبى حتى آخر نفس فى حياتى .. ولكن الحب ليس كل شىء فى الحياة ..

وقالت الأميرة والدموع تترقرق فى عينيها إنى على حق فيما قلت .. فلو كان الحب هو كل شىء لكان فى إمكانى أن أترك الملك يموت فى سجنه وأجلس أنا فى مكانه وأتزوجها .. ولكن الشرف منعنى من فعل ذلك لأننى شخص نبيل وأكن لها عواطف صادقة .. وهى أيضاً تحس بأن واجبها أن تظل مخلصة لبلادها وترضى بقدرها .

وتبادلنا الوداع ..

وفوجئت بأن زوجة أخى تخبرنى بأن «السير جاكوب بوروديل» قد عين سفيراً لبريطانيا فى دولة روريتانيا .. وأنه عند وعده بأن يأخذنى معه لتعيينى ملحقاً دبلوماسياً بالسفارة .

وطبعاً رفضت هذه الفكرة تماماً .

• • •

وهاهى السنوات أخذت تمر وتتوالى ، وفى كل عام يمر ، ترسل لى «الملكة فلافيا» وردة حمراء ندية ملفوفة بشريط من الورق كتبت عليه : «رودلف ـ فلافيا .. إلى الأبد» .

وأقوم أنا أيضاً بإرسال وردة حمراء مماثلة فى نفس الموعد ، وتحمل نفس الكلمات .. وإذا كانت فلافيا قد أصبحت ملكلة على روريتانيا ، فسوف تظل إلى الأبد ملكة على قلبى ..

ومازلت حتى الآن أتمرن على المبارزة بالسيف .. لعلى يوماً التقى بذلك النذل الهارب المدعو روبرت هنتزو وعندئذ سألقنه درساً لن ينساه أبداً .. من يدرى ؟! .

جون شتاينبك

اللؤلؤة

THE PEARL

BY : JOHN STEINBECK



فى تلك المدينة كان الجميع يعرفون هذه الحكاية .. وكانوا يحكونها مئات المرات بكل تفاصيلها وأحداثها .. ويقولون أشياء كثيرة عن «كينو» صياد السمك وزوجته «جوانا» وابنهما «كويوتيتو» .. وهم من الهنود الحمر الفقراء الذين يعيشون عند أطراف بلدة صغيرة فى المكسيك ..

يقولون أن «كينو» وأسرته كانوا فقراء جداً .. بل ومن أفقر الفقراء فى هذا العالم .. يعيشون فى كوخ ضيق مبنى بسيقان الأعشاب وأغصان الشجر .. ويحرقون القش لإنضاج أرغفة الخبز التى تصنعها الزوجة «جوانا» عند كل وجبة .. وكانوا يحمدون الله كلما استطاعوا الحصول على حفنات من الحبوب التى يصنعون منها هذا الخبز !

لم يكن الكوخ العشبى الذى تعيش فيه هذه الأسرة مختلفاً عن بقية الأكواخ المجاورة التى يعيش فيها الصيادون الهنود الفقراء الذين يحصلون على قوت يومهم يوماً بيوم .. والذين يعيشون تحت تهديد الجوع .. ويعتبرونه عدوا يتربص بهم ليفترسهم آخر النهار .

كانت هذه الأكواخ الفقيرة المتهالكة متباعدة عن بعضها ومتقاربة إلى بعضها فى الوقت نفسه .. وتتناثر على رمال شاطىء الخليج المفتوح على البحر العريض الواسع .. وكان سكان تلك الأكواخ يعيشون حياة متماثلة

متشابهة يدوسها الفقر بكل قوته .. ويملأها الخوف من وطأة الجوع التى قد تؤدى إلى الموت .

حتى البحر الذى يعيشون على شاطئه ، كان فقيراً هو الآخر فهجرته الأسماك ، عدا القليل من الأسماك الصغيرة الضئيلة الحجم والوزن ، والتى كانت تؤدى رسالتها النبيلة ـ دون أن تدرى ـ فى سد رمق الجوع فى بطون هؤلاء الفقراء ، وتبعد عنهم شبح الموت الذى يهدد الجميع فى كل حين .

ومن الغريب أن هؤلاء الصيادين الفقراء قد توارثوا عن آبائهم وأجدادهم مهنة صيد اللآلىء .. ويجيدون كتم أنفاسهم والغوص فى قاع البحر للبحث عن المحارات التى قد تحتوى محارة منها على لؤلؤة صغيرة ، يبيعونها فى المدينة لتجار اللآلىء المتجمعين فى أحد الشوارع الضيقة ، والذين يقدرون البضاعة بأبخس الأثمان ، ولايدفعون إلا أقل القليل .

كانت تجارة اللآلىء فى تلك المدينة خدعة كاملة .. فجميع هؤلاء التجار تابعون لتاجر كبير واحد .. ويتظاهرون بالتنافس فى زيادة أسعار الشراء .. ومع ذلك فقد كان أعلى سعر يعرضه أحدهم يقل عن القيمة الحقيقية للآلىء بأكثر من خمسمائة أو ألف مرة !

● ● ●

شقشق الفجر واستيقظ «كينو» الصياد على الصوت الخفيض الذى كانت تحدثه حركات زوجته «جوانا» حين كانت تحاول إشعال النار فى بعض أعود القش الموضوعة بداخل حفرة عند باب الكوخ لتعد خبز الصباح ..

فتح «كينو» عينيه وأخذ يتأمل فى نور الفجر الذى بدأ يتسلل خلال شقوق الكوخ .. وأرهف أذنيه ليتسمع صوت الكائنات عندما تستيقظ كل صباح .. هاهى زقزقة العصافير وغيرها من الطيور وقد بدأت عملية الامتزاج الهادىء مع حفيف أمواج البحر المتكسرة على رمال الشاطىء.. وهاهى الأنغام الكونية وقد بدأت تتردد فى صدى عميق بداخل «كينو» وتدغدغ أحاسيسه ومشاعره ..

كان «كينو» مثل بنى جنسه ، يتصور أن الكون عبارة عن مجموعة من النغمات .. وأن لكل شأن من شئون الحياة نغمة خاصة تميزه .. هناك لحن يتردد بداخل النفس ليجعل للصبر مكاناً فى زوايا القلوب ، وهناك ألحان للفرح وألحان للحزن والعذاب .. وحتى عندما يواجه الإنسان شراً يهدد حياته أو عدواً مسلحاً بأسباب الأذى ، فسوف يسمع فى أعماقه لحناً صاخباً مختلط النغمات السيئة النشاز .. اسمه لحن العدو أو لحن الشر .. !

وبينما كان «كينو» غارقاً فى تأملاته .. تسللت إلى أذنه الداخلية نغمات من لحن الشر ، فشعر على الفور بإحساس غامض بقرب وقوع شر مستطير على وشك أن يحدث .. بل وحدث فعلاً أمام عينيه ..

كان ابنه الرضيع «كويوتيتو» راقداً فى صندوق صغير قرب مدخل الكوخ .. وفجأة حدث شىء فظيع هز كيان «كينو» وخلع قلب زوجته «جوانا» .. لقد شاهدا عقرباً ترفع ذنبها المسموم وتمشى فوق غطاء الطفل الرضيع الذى كان قد استيقظ وبدأ يحرك يديه كما لو كان يريد الإمساك بهذا الموت المقترب الذى أرسله الشر ..

وفى لمح البصر نهض «كينو» على قدميه ، ومد يده بمنتهى السرعة ليزيح

هذا الشر عن ابنه الرضيع ، ولكن العقرب كانت أسرع منه وضربت ضربتها ولدغت الطفل المسكين فى كتفه .. وعلا صراخ الطفل من شدة الألم ، بينما كان أبوه قد أمسك بالعقرب وبدأ يفركها بين أصابعه حتى أصبحت كالمعجون ثم ألقاها على الأرض وبدأ يهرسها بقدمه العارية حتى أصبحت أشلاءً متناثرة .

وبتلقائية الأم الملتاعة ، رفعت «جوانا» ابنها المسكين بين ذراعيها ، وقربته إلى صدرها .. ومدت شفتيها نحو الثقب الأحمر الذى أحدثته اللدغة، وبدأت تمتص السم بكل قواها وتبصقه على الأرض .

● ● ●

تردد صراخ الطفل الجريح بين جنبات الأكواخ .. وشعر كل الجيران بالمأساة التى حدثت .. وبدأوا يتجمعون حول الكوخ صامتين لاينطق أحدهم بكلمة .. ولكن مشاعر الحزن كانت صارخة فى كل وجوه جميع الرجال والنساء والأولاد والبنات الذين كانوا لايملكون شيئاً للمساعدة فى تلك المحنة .

وبعد أن اعتقدت الأم «جوانا» أنها قد امتصت كل السم الذى نفثته العقرب فى كتف ابنها .. رفعت عينيها إلى زوجها وتوسلت إليه بصوت متهدج مختلط بالدموع : الطبيب .. لابد أن يحضر الطبيب ليراه !

وسرت مشاعر الدهشة بين الجيران وبدأوا يتساءلون : وكيف يحضر الطبيب إلى أكواخ هؤلاء المعدمين المفلسين .. من الأفضل أن تذهبوا إلى الطبيب بأنفسكم لعل وعسى ..

وحمل «كينو» طفله الملدوغ .. وسارت الأم «جوانا» خلفه وهى تتمتم

بكلمات سحرية لطلب الرحمة وإبعاد الشر .. ومن خلف الزوجين انضم جميع الجيران إلى الموكب الحزين .. تتردد فى أعماق نفوسهم أنغام الحزن والأسى التى يعرفونها جيداً .. ومع ذلك فلم يكن هناك صوت يسمع ، سوى الأنفاس اللاهثة ووقع الأقدام المسرعة فوق حبات الرمال .

وصل الموكب إلى أسوار البيت الذي يقيم به الطبيب .. وكان الطبيب من الجنس الأبيض الذين ينظرون إلى مثل هؤلاء الهنود الحمر كما ينظرون إلى حيوانات جرباء .. وأسرع خادمه الهندى بابلاغه بأن هؤلاء الناس يطلبون علاج طفل رضيع لدغه عقرب .. فأمر الطبيب خادمه بألا يفتح لهم باب البيت إلا بعد أن يتأكد من أنهم يحملون نقوداً ليدفعوا أجر العلاج ..

وأخرج «كينو» من بين طيات ملابسه لفافة مطوية من الورق كانت بها ثمانى لآلىء صغيرة .. ولكنها كانت صغيرة جداً ورديئة وكالحة اللون ، وقدمها إلى الخادم ليعرضها على الطبيب كأجر للعلاج .. ولكن الخادم عاد بالورقة المطوية بعد لحظات ، وقال «لكينو» ومن معه أن الطبيب قد خرج ليعالج مريضاً فى المدينة ولن يعود الآن .. وفهم الجميع أن الطبيب رفض الأجر المتواضع المعروض عليه ، ورفض بالتالى علاج الطفل الملدوغ ..

وقبل أن يستدير الجميع إلى طريق العودة وهم يجرون أذيال الخيبة ويتجرعون مرارة الإهانة ، ضرب «كينو» بوابة بيت الطبيب الحديدية عدة مرات حتى نزف الدم من يديه ..

• • •

وعندما وصلوا إلى منطقة الأكواخ العشبية التى يقيمون فيها ، تفرق كل منهم إلى حال سبيله ، ليواجه المتاعب التى تدبرها الحياة الشاقة لكل من

يعيش على هذا الشاطىء .. وتوجه «كينو» وزوجته التى كانت تحمل الرضيع المسكين إلى قارب الصيد الصغير .. وهذا هو الشىء الوحيد الذى يمتلكانه فى هذا العالم .

وعندما أرقدت «جوانا» ابنها «كويوتيتو» على بطانية بقاع القارب ، لاحظت أن الأورام الحمراء قد زحفت إلى أعلى رقبته وتحت أذنيه .. وأن وجهه البرىء قد خلا من الابتسامة وتورم وانتفخ .. وبطريقة تلقائية جمعت «جوانا» بعض الطحالب البنية الرخوة التى كانت طافية على سطح البحر ، وصنعتها على شكل لبخة غطت بها الأورام الحمراء وهى تدعو فى سرها بصلوات الشفاء .

ولكنها تذكرت فجأة ألحان أغنية اللؤلؤة .. ونغماتها التى يرددها الهنود الصيادون لتحقيق الأمنيات الطيبة وأمل العثور على «لؤلؤة العالم» التى تبعد عنهم شبح الجوع وتغنيهم مدى الحياة ..

ومن الغريب أن صدى نغمات هذه الأغنية كان يتردد أيضاً فى أعماق «كينو» ويهز مشاعره .. وأصبح من الواضح تماماً أن العثور على «لؤلؤة العالم» هو الأمل الوحيد لتوفير العلاج وإنقاذ الطفل المسكين .

خففت الأقدار من قبضتها وابتسم الحظ ابتسامة رائعة ، وعثر «كينو» على محارة ضخمة فى أول غطسة له إلى قاع البحر ، فخلصها من الصخور التى كانت ملتصقة بها ، وصعد فوراً إلى القارب المتأرجح فوق سطح الماء ، حيث كانت زوجته تترقب وتنتظر .

وكانت اللحظات التالية من أسعد اللحظات .. فما أن استخدم «كينو» سكينه لفتح المحارة الضخمة وإزالة لحمها ، حتى وجد اللؤلؤة العظيمة ..

كبيرة وضاءة فى حجم البيضة .. مستوية الأسطح ولا شائبة فيها .. وكأنها القمر فى ليلة تمامه بدراً .

تماسكت «جوانا» وتحكمت فى مشاعر الفرحة العظمى التى هزتها .. وكأنها كانت متأكدة من أن الحظ حتماً سيبتسم ، وسيمد يده الحانية لينقذ طفلها من بلواه .. أما «كينو» فلم يستطع التماسك أو التحكم فى مشاعره فأخذ يصرخ فى هستيرية : لقد عثرت على «لؤلؤة العالم» ! .. هاهى «لؤلؤة العالم» فى يدى .. !

انتشر الخبر كهبوب الرياح بين جميع الأكواخ العشبية المتناثرة على رمال الشاطىء ، وأصبح حديثاً يلوك كلماته جميع الرجال والنساء من الجيران ، الكبار منهم والصغار .. ثم وصل إلى أطراف المدينة ذات البيوت المبنية بالحجر .. ثم تخلل الخبر شوارع المدينة وطرقاتها وبيوتها ومحلاتها ، ووصل إلى أسماع القسيس والطبيب والشحاذين الذين يقفون عند باب الكنيسة ، ثم وصل أخيراً إلى المحلات الصغيرة التى يجلس فيها تجار اللآلىء .. لقد عثر صياد هندى فقير على «لؤلؤة العالم» .. هل هذا معقول ..؟!

● ● ●

وبعد العصر بقليل وصل القسيس إلى الكوخ الذى يعيش فيه «كينو» وزوجته وابنه .. وبارك لهم على عطية الله التى رزقهم بها رب السماوات .. وطلب من «كينو» وزوجته أن يقدما الشكر إلى الله وأن يتبرعا لتدعيم الكنيسة .. وسألهما القسيس عما سوف يفعلانه بتلك الثروة ..

أجابت «جوانا» بصوت خفيض : لقد كنا عاجزين عن دفع تكاليف مراسم زواجنا الدينى أمام الكنيسة .. ولكننا أصبحنا قادرين الآن على دفع

التكاليف .. وسوف نحضر لنتزوج أمامك .. وسوف نجرى مراسم التعميد لابننا «كويوتيتو» بعد أن يشفى من لدغة العقرب ..

وانصرف القسيس تشيعه كلمات الشكر والدعاء التى كان يتمتم بها الجيران المتجمعون خارج الكوخ ..

وقبل غروب الشمس بقليل وصل الطبيب يتقدمه خادمه الهندى العجوز يحمل فانوساً فى يده .. وسأل الطبيب عن حال الطفل الملدوغ ، فأجاب «كينو» بأن الطفل قد توقف عن الصراخ من شدة الألم ويبدو أنه فى طريقه إلى الشفاء ..

وسخر الطبيب من تلك الإجابة ولكن بكلمات هادئة : أنت لاتعرف أكثر منى بمفعول السم فى جسم الإنسان .. إن هذا الهدوء يسبق الموت .. خصوصاً بالنسبة لطفل ضعيف حديث الولادة .. إحمد الله لأن طفلك مازال حياً حتى الآن .. لقد أرسلتنى العناية السماوية لكى أنقذه وأكون سبباً فى شفائه ..

وأخرج الطبيب من حقيبته بعض المساحيق البيضاء ووضعها فى فم الطفل وهو يقول : خلال ساعة من الآن سيتخلص الطفل من جميع السموم وبقاياها .. ولن يبقى سوى أثر الجرح الذى أحدثته اللدغة .. وسوف يزول هذا الأثر بمرور الوقت .. والآن كيف ستدفع لى فاتورة العلاج .. ؟!

قال «كينو» بحزم : غداً سأبيع اللؤلؤة وسوف أعطيك الأجر الذى تطلبه.

وافتعل الطبيب شيئاً من الدهشة وكأنه يسمع خبر اللؤلؤة لأول مرة : حقاً .. هل لديك لؤلؤة يكفى ثمنها لدفع أجرى ..؟

فقال أحد الجيران : لقد عثر «كينو» على «لؤلؤة العالم» ! ..

وهنا توجه الطبيب بكلامه إلى «كينو» لكى ينصحه :

ـ إذا كنت قد عثرت حقاً على «لؤلؤة العالم» .. فكيف لاتخاف عليها ولاتخاف على نفسك .. وكيف تظن أن اللؤلؤة ستظل معك حتى الصباح دون أن يطمع فيها الطامعون .. إعطنى إياها لأحفظها لك عندى .. ولتحضر فى الصباح لتأخذها وتبيعها وتعطينى أجرى ..

ولكن «كينو» قال ليطمئنه : لاتخشى شيئاً أيها الطبيب .. لقد خبأت اللؤلؤة فى مكان آمن لن يصل إليه أحد ..

وانصرف الطبيب وهو يتمتم بكلام لم يسمعه أحد .. وهبط ظلام الليل سريعاً .. وانصرف الجيران إلى أكواخهم .. وتلاشت كل الأصوات إلا من حفيف الأمواج الهادئة وهى تتكسر فى صوت هامس على رمال الشاطى ..

● ● ●

وانزوى «كينو» إلى جانب «جوانا» وتأهبا للنوم .. ولكن أحداً منهما لم يغمض له جفن ولاتسلل النوم إلى عينيه .. وظلا مستيقظين طول الليل .. لقد كانا يظنان أن الجميع يشاركونهما فى الفرحة العارمة بالعثور على«لؤلؤة العالم» .. ولكنهما الآن بدآ يتسمعان أصداء نغمات واضحة من أغنية الشر تهز مشاعرهما بذبذبات الخوف .

وبعد منتصف الليل سمعا حركات كالهمس ، ودبيب أقدام تزحف بحذر فوق الرمل .. وأنصتا جيداً وتمنيا أن يكون الصوت خداعاً للسمع .. ولكنهما تأكدا فى النهاية .. أن الشر قد جاء فعلاً ويحوم حول الكوخ ..

وبكل حذر وهدوء تحسس «كينو» نصل سكنيه الحاد ، وأمسك بالمقبض جيداً ، وهب واقفاً متحفزاً للهجوم ، واندفع إلى خارج الكوخ فى لمح البصر ، وانقض على العدو .. وسمع وقع أقدام تهرب .. وظلال سوداء كانت تتحرك .. ولكن سكينه انغرست فى كتف شبح أسود .. وعندما سحب السكين وتأهب للطعنة الثانية ، كان الشبح قد انفلت هارباً دون أن تصدر منه صرخة ألم ، وبلعه الظلام ، وعاد السكون مرة أخرى ..

وظل «كينو» واقفاً متأهباً لمواجهة أى هجوم جديد .. وكانت زوجته «جوانا» قد أشعلت النار فى بعض سيقان القش الجاف ، لتوفر بعض الضوء .. وعندئذ لاحظت أن زوجها قد أصيب فى رأسه بجرح بسيط ولكنه كان ينزف دماً .

وهمست «جوانا» فى أذن زوجها : هذه اللؤلؤة ستجلب لنا الشر .. وقد تجلب لنا الموت .. فلنتخلص منها يا «كينو» .. هيا نسحقها بين الأحجار أو نلقى بها فى أعماق البحر ..

كانت منفعلة وهى تنطق بهذا الكلام الغريب .. لذلك فقد أخذ «كينو» يهدىء من روعها .. ويمنيها بالأحلام الطيبة .. فغداً سوف تشرق الشمس .. وسيذهب لبيع اللؤلؤة فى المدينة مرة أخرى وإلى الأبد .. سيذهب «كويوتيو» إلى المدرسة ويتعلم القراءة والكتابة .. وسيصبح ضابطاً بحرياً يرتدى حلة مصنوعة فى الولايات المتحدة .. وسوف يشتريان ملابس جديدة ويسكنان فى بيت من حجر !

● ● ●

ومثل الموكب الذى صاحب «كينو» عند الذهاب إلى الطبيب ،

تكوّن موكب آخر ليصاحب «كينو» فى ذهابه إلى المدينة لبيع اللؤلؤة ..

ولكن التجار الماكرين خسفوا قدر اللؤلؤة وقيمتها ، وعرضوا عليه ثمناً بخساً قائلين أنها كبيرة ولن يجدوا من يشتريها ، وإنها عبارة عن شيء نادر ، ولكنها لاتساوى أكثر من ألف بيزو ..

وغضب «كينو» من مكر التجار وتآمرهم عليه ، وصاح فيهم جميعاً : إنكم غشاشون تريدون أن تحصلوا على «لؤلؤة العالم» بأبخس ثمن .. إنها تساوى أكثر من خمسين ألف بيزو .. لن أبيعكم إياها .. وسأذهب لأبيعها فى العاصمة أو فى إحدى المدن الكبرى .

وعاد الموكب إلى الأكواخ خائباً .. وانقسم الجيران بين مؤيد «لكينو» فى موقفه ، وبين معارض يلوم «كينو» على رفضه للألف بيزو .. لأن الألف بيزو هى فى حقيقة الأمر ثروة كبيرة لم يشاهدها «كينو» مثلها من قبل .. لاهو ولا آباؤه وأجداده ..

● ● ●

وعندما انسدلت أستار الظلام فى تلك الليلة ، بدأت أصداء أغنية الشر تتردد مرة أخرى وتكاد تشمل الكون كله .. ومثلما جاء الشر فى الليلة السابقة متستراً بالظلام الأسود ، جاء أيضاً فى تلك الليلة ناوياً حسم الأمر والاستيلاء على اللؤلؤة بأية طريقة ولو كانت بالقتل أو الحرق .

وجرت المعركة بعيداً عن الكوخ بمسافة بعيدة .. وفى أثناء المعركة أخرجت «جوانا» اللؤلؤة من مخبئها وقررت أن تقذف بها فى البحر بعد أن عصفت بسلام الأسرة وأحدثت كل هذا الشر المستطير .

وما أن خرجت «جوانا» من باب الكوخ ، توقفت قليلاً لتعود عينيها على الرؤية فى هذا الظلام الدامس .. وبينما كانت تأخذ طريقها نحو البحر ، شاهدت عن بعد جسدين ممددين على الأرض .. وكان أحدهما لزوجها «كينو» حيث سمعته يئن بأنفاس لاهثة متقطعة .. بينما كانا الجسد الثانى خامد الأنفاس تنزف الدماء غزيرة من رقبته .. لقد مات وانتهى أمره .

أسعفت «جوانا» زوجها بسرعة ، وساعدته على النهوض واقفا ، وقال لها بصوت واهن : اذهبى إلى الكوخ واحضرى «كويوتيتو» لابد أن نسرع بالهرب .. سأسبقك إلى القارب لأعده للإبحار ..

وأسرعت «جوانا» نحو الكوخ وأحضرت ابنهما الرضيع .. وعندما وصلت إلى القارب وجدت زوجها منهاراً بجانب حطام القارب ويقول لها فى صوت باك حزين : لقد حطموه وثقبوه ولم يعد صالحاً لشىء !

ثم جمع قواه وقال بحزم : وبالرغم من كل شىء .. ليس أمامنا سوى الهرب فى الجبال ..

وفى ضوء القمر المتأخر الذى بزغ من خلف الأفق بنور خافت ضئيل .. اتسعت خطوات الزوجين فى اتجاه الشمال .. نحو الجبال الوعرة العالية ..

• • •

تلوى بهما الطريق وارتفع .. واستطاعا من هذا الارتفاع أن يشاهدا منطقة الأكواخ كلها .. وشاهدا كوخهما وقد اشتعلت فيه النيران .. وعلى ضوء ألسنة اللهب ، شاهدا رجالاً يحفرون كل شبر فى الأرض بحثاً عن اللؤلؤة .. وقال «كينو» لزوجته : لن يعثروا عليها .. لقد دفناها فى مكان لن يصل إليه أحد ..

وهنا فقط أبلغت «جوانا» زوجها بأن اللؤلؤة مازالت معها .. وأعطته إياها .. فأخذها صامتاً ولم ينطق بكلمة .. وواصلا صعود الجبل دون أن يشعرا بأى إرهاق أو تعب .

وظلا يصعدان طول النهار .. وهبت عليهما رياح عاصفة فرح لها «كينو» فرحة عارمة .. فهذه الرياح ستزيل الآثار التى تتركها أقدامهما فوق التراب .. ولن يتمكن قصاصو الأثر من تتبع خطواتهما فى طريق الهروب ..

ولكن قرب الغروب ، ظهر ثلاثة رجال من قصاصى الأثر .. اثنان منهم يسيران على الأقدام وثالثهم كان يركب حصاناً ويحمل بندقية .. كانوا على مسافة قريبة من الصخرة العالية التى احتمى بها «كينو» وزوجته وابنه الرضيع .. ولولا أن الشمس قد مالت إلى المغيب لوصل إليهم قصاصو الأثر فى دقائق معدودات ..

وعندما ساد الليل وحل الظلام اختفت أطياف الرجال الثلاثة إلا من وهج شعلات السجائر التى كانوا يدخنونها بين حين وآخر .. وطلب «كينو» من زوجته أن يكتما أنفاسهما ولايأتيان بأية حركة تدل على مخبئهما خلف الصخرة المرتفعة ..

وتوغل الليل .. وشاهد «كينو» وهج عود ثقاب أشعله أحد الرجال ليدخن سيجارة .. وفى ضوء هذا اللهب الذى سطع فى الظلام شاهد «كينو» اثنين من الرجال الثلاثة وقد استغرقا فى النوم ، بينما ظل الثالث مستيقظاً ليتولى أعمال الحراسة ، وكانت البندقية ملقاة إلى جانبه ..

وهمس «كينو» فى أذن زوجته : لو عثر علينا هؤلاء الرجال فلن يتركونا أحياء ، وسيستولون على اللؤلؤة لأنفسهم .. لقد أصبحت المسألة مسألة

حياة أو موت .. وليس أمامى سوى الهجوم للاستيلاء على البندقية وليكن بعد ذلك مايكون ..

وبدأ «كينو» فى التسلل بحذر شديد .. وكان القمر العجوز قد بدأ يتسلل هو الأخر من وراء خط الأفق .. وبدأت بالتالى جميع الأشياء تظهر بوضوح .. وتوقف «كينو» على بعد خطوات من البندقية والحارس المستيقظ .

وفى تلك اللحظة البائسة استيقظ الطفل الرضيع «كويوتيتو» فجأة وأطلق صرخة طفولية لم تستطع أمه «جوانا» أن تكتمها .. وفى لمح البصر كان الحارس قد أمسك بالبندقية وصوّبها نحو مصدر الصوت وأطلقها .. وفى لمح البصر أيضاً كان «كينو» قد تمكن من الانقضاض على الحارس وطعنه بالسكين واستولى على البندقية .. وقبل أن يلوذ النائمان بالفرار بعد أن استيقظا مذعورين ، كان «كينو» قد أطلق عليهما النار فسقطا بجوار جثة الحارس ..

• • •

كان من الممكن أن تنتهى القصة عند هذا الحد .. ولكن أجيال الصيادين الهنود الفقراء الذين ظلوا يعيشون فى الأكواخ العشبية كانوا يتناقلون هذه الحكاية جيلاً بعد جيل .. ويقولون أن «كينو» وزوجته «جوانا» قد عادا إلى المنطقة بعد ظهر أحد الأيام .. وكانت الأم تحمل لفافة بها جثة ابنها الرضيع الذى قتلته الرصاصة التى أطلقها الحارس ..

وكان الزوجان يسيران فى صمت حزين .. وكان الجيران ينظرون إليهما صامتين ودون أن ينطق أحدهم بكلمة .. ومر الزوجان على بقايا كوخهما المحترق .. وعلى بقايا قاربهما المحطم .. إلى أن وصلا إلى حافة الشاطىء ..

ومع ذلك فقد ظلا يخوضان فى ماء البحر حتى بلغ الماء صدريهما .. وعندئذ جمع «كينو» كل قواه .. وأمسك باللؤلؤة اللعينة وقذف بها إلى الأعماق ..

وبرقت اللؤلؤة قليلاً فى ضوء الشمس الغاربة ، ثم ابتلعها البحر .. ومن المؤكد أن الطحالب والأعشاب الطافية قد نادت عليها مراراً قبل أن تهبط إلى القاع ..!

تشارلس ديكنز

الآمــال الكبــرى

GREAT EXPECTATIONS

BY : CHARLES DICKENS

عشت معظم السنوات الأولى من حياتى فى مقاطعة « كنت » .. وهى منطقة ريفية مليئة بالمستنقعات .. وكنت فى السابعة من عمرى عندما ذهبت لزيارة قبر أبى وأمى فى عشية عيد الميلاد .. وكان القبر يقع فى منطقة موحشة عند أطراف القرية .

كان « فيليب » هو إسم أبى .. وقد سميت على إسمه .. ولكنى كنت فى طفولتى لا أستطيع نطق هذا الإسم صحيحًا ، وإنما كنت أنطقه هكذا : « بيب » .. وهو الإسم الذى ظل يطلق علىَّ طوال حياتى .

وفجأة ظهر أمامى رجل عملاق كان يرتدى ملابس خشنة رمادية اللون ويحيط بقدمه طوق حديدى .. وأمسكنى الرجل من ذقنى وفتشنى فعثر معى على قطعة من الخبز الجاف إلتهمها بنهم شديد .. وهددنى الرجل بالقتل إذا أفشيت سره أو أخبرت أحدًا بوجوده فى ذلك المكان .. وطلب منى أن أحضر له فى صباح اليوم التالى « مبردًا » حديديًا وبعض الطعام .. وقال لى إذا لم أنفذ هذا الطلب فسوف يرسل إلىَّ أحد معاونيه ليقتلنى .. ووعدت الرجل بأنى سألبىّ طلبه .. ولم أصدق أنى نجوت من براثنه .. وجريت عائدًا إلى البيت الذى أعيش فيه .

كنت أعيش مع أختى الكبرى وزوجها « جو » حداد القرية .. وكانت

أختى سيدة عنيفة وحادة الطباع .. وكان زوجها « جو » يحمينى دائماً من غضبها .. وعلمت من « جو » أن حراس السجن يبحثون فى المنطقة عن سجينين هاربين .. وفهمت من ذلك أن الرجل العملاق الذى ظهر لى فى منطقة المقابر هو أحد هذين السجينين .

وفى تلك الليلة لم أذق طعم النوم .. وقرب الفجر تسللت إلى المطبخ وأخذت بعض الخبز وقطعة من الجبن وفطيرة محشوة باللحم كانت أختى قد أعدتها للاحتفال بعيد الميلاد . ثم تسللت إلى ورشة الحدادة الملحقة بالبيت وحصلت على المبرد الحديدى الذى طلبه منى السجين الهارب .. وأسرعت آخذًا طريقى إلى المستنقعات التى تغطيها شبورة الصباح .

وعندما وصلت إلى منطقة المقابر .. شاهدت رجلاً آخر يلبس ملابس السجناء الرمادية . وكان هو السجين الهارب الثانى ، ولكنه فر من أمامى واختفى .. وواصلت طريقى بين المقابر حتى وصلت إلى السجين الأول وقدمت إليه ما أحضرته معى من طعام وشراب .. فأكل وشرب بنهم .. ولما شبع سألنى عن المبرد الحديدى فأعطيته له .. وانهمك على الفور فى برادة القيد الحديدى الذى كان يحيط بقدمه .. وحكيت له حكاية السجين الهارب الثانى ، فاندهش وطلب منى أن أصف هذا السجين له .. وما أن ذكرت أوصافه حتى انتفض السجين الأول وصاح : إنه هو .. سوف اصطاده كما تصاد الكلاب !

وأسرعت بالعودة إلى منزلى قبل أن تستيقظ أختى وزوجها اللذان كانا يستعدان لاستقبال بعض الضيوف احتفالاً بعيد الميلاد .. وعندما حضر الضيوف وبدأ الاحتفال ، اكتشفت أختى أن فطيرة اللحم التى أعدتها لهذه



المناسبة قد اختفت من المطبخ ! .. وحتى أتحاشى أن يظهر على وجهى ما يدل على أنى قد سرقتها وقدمتها للسجين الهارب ، تسللت من البيت ، ولكنى فوجئت بمجموعة من الشرطة ينادون على !

تلعثمت .. وكدت أسقط مغشيًا على .. لولا أن قائد الشرطة قال : إنهم يريدون إصلاح قيد حديدى لا يعمل قفله ، ولذلك فإنهم يطلبون من الحداد أن يصلح هذا القيد سريعًا حتى يتمكنوا من القبض على السجينين الهاربين فى أسرع وقت ممكن .. وقام « جو » باصلاح القيد .. وسمح لنا قائد الشرطة بأن نصحبهم لمشاهدة عملية البحث عن السجينين والقبض عليهما.

وعندما شاهدنى السجين الأول نظر إلىَّ معاتبًا .. ولكنى أومأت إليه بإشارة خفية بأنى لم أخبر أحدًا بسره ، ولست السبب فى القبض عليه .. وبدا عليه أنه صدقنى .

وأصبحت أعمل صبيًا فى ورشة الحدادة التى يمتلكها زوج أختى .. وفى يوم ما جاء العم « بامبلشوك » .. وأخبر أختى وزوجها « جـو » بأن الآنسـة « هافيشام » تريد أن يذهب « بيب » إلى بيتها ليلعب أمامها .. وذهبت مع العم « بامبلشوك » إلى حيث تعيش الآنسة « هافيشام » فى بيت قديم له باب حديدى مغلق بالسلاسل .. وفى هذا البيت شاهدت « ستلا » لأول مرة فى حياتى .. وهى فتاة جميلة فى مثل سنى ولكنها متغطرسة متكبرة كثيرة الشتائم .

أما الآنسة « هافيشام » فقد كانت أغرب امرأة شاهدتها فى حياتى .. كانت عجوزًا تلبس ملابس العرس البيضاء .. واستقبلتنى بلا اهتمام ،

ولكنها أشارت إلى صدرها وقالت إنها تحمل فى هذا الصدر قلبًا كسيرًا مجروحًا .. ونادت على « ستلا » وطلبت منها أن تلعب معى الورق .. فتأففت « ستلا » من ذلك ولكنها لعبت معى وهى تشتمنى وتتكبر علىّ طول الوقت ..

وهكذا أصبحت أتردد على بيت الآنسة « هافيشام » مرة كل ستة أيام وعلى مدى شهور طويلة .. ولاحظت أن هذه المرأة الغريبة تضمر حقدًا على الرجال أجمعين ، وتتمنى أن تكسر قلوبهم كما كسر أحد الرجال قلبها عندما وعدها بالزواج وتخلى عن وعده فى اليوم المحدد لزفافها .. وعلمت أنها تربى « ستلا » الصغيرة لتصبح قادرة على تحطيم قلوب الرجال لتأخذ بثأرها !

وفى يوم ما وصل إلى بيتنا رجل مهيب .. أفهمنا أن إسمه « جاجرز » وأنه يعمل محاميًا فى لندن .. وقال هذا الرجل كلامًا كان له أكبر الأثر فى مستقبلى .. قال إنه مكلف من أحد عملائه بأن يعطينى مبلغًا كبيرًا من المال .. وأن أتعلم لكى أصبح « جنتلمان » .. وأن علىّ أن أذهب إلى لندن لأعيش هناك مع شاب فى مثل سنى إسمه « هربرت بوكيت » لكى يعلمنى العادات والتقاليد الحسنة والسلوك الراقى ..

ولكنى فوجئت بالمستر « جاجرز » يقول لى أن هناك بعض الشروط التى يجب أن ألتزم بها كل الالتزام .. وهى ألا أسأل عن إسم من خصص لى كل هذه الأموال .. وحتى لو عرفت إسمه فيجب أن أحتفظ به سرًا لنفسى ولا أخبر به أحدًا .. وأن علىّ أن أحتفظ بإسم « بيب » طول حياتى .. وبطبيعة الحال فقد قبلت هذه الشروط كلها .

وسافرت إلى لندن .. وتوجهت على الفور إلى مكتب « مستر جاجرز »

المحامى ، حيث قابلت « مستر وميك » الذى يعمل مساعدًا له ويتولى الشئون المالية با لمكتب .

وصحبنى المستر « وميك » إلى المسكن الذى سأعيش فيه مع « هربرت بوكيت » وهو شاب هادىء دمث الأخلاق شعرت نحوه بصداقة صادقة من أول لقاء .

ومرت سنوات إلى أن بلغت سن العشرين وأنا أعيش حياة رغدة وأنفق أموالاً كثيرة .. وفى خلال تلك السنوات علمت بأن أختى قد ماتت .. وانقطعت صلتى بزوجها « جو » .. وعندما جاء « جو » لزيارتى فى لندن ، لم أسترح إلى تلك الزيارة لأنه كان يذكرنى بذكرياتى القديمة كصبى حداد فى القرية ، وذلك بالرغم مما كان يبديه « جو » نحوى من حب صادق واحترام يفوق الوصف .

وعلمت من صديقى « هربرت بوكيت » أنه يمت بصلة القربى للآنسة « هافيشام » .. وحكى لى الكثير عن قصة حياة هذه المرأة الغريبة ومأساتها .. وأنها تبنت « ستلا » وتتولى الإنفاق عليها لتصبح سيدة راقية .. ولهذا الغرض فقد أرسلتها إلى فرنسا لتتعلم .. فقلت فى سرى : يا لها من محسنة كريمة .. إنها تنفق علىَّ أيضًا !

وعندما علم صديقى « هربرت » بأنى أحب « ستلا » وأتمنى الزواج بها .. فوجئت بأن صديقى يحذرنى منها ويطلب منى بالحاح أن أتخلى عن هذه الفكرة .

وبالرغم من ذلك فقد كدت أطير من الفرح والسعادة حين علمت بعودة « ستلا » من فرنسا وأنها تنوى الإقامة فى لندن .. وعشت أحلى أيام

عمرى حين وصلت «ستلا» إلى لندن . وكانت تصحبنى إلى الحفلات والمجتمعات الراقية التى كانت تتردد عليها .. ولكنها كانت تعاملنى كمجرد صديق لها أو ربما كسكرتير يعمل فى خدمتها .

لقد كنت أتصور أن الزواج من «ستلا» هو كل آمالى الكبرى فى حياتى .. ولكنى كنت أتردد أمام التحذير الذى نصحنى به صديقى .

وحين بلغت الحادية والعشرين وهى السن القانونية لأتولى شئون نفسى بنفسى .. أعطانى مستر «جاجرز» المحامى صكا بحرية التصرف فى أموالى .. كما أعطانى خمسمائة جنيه منحها إلى المحسن الذى ينفق على .. والذى خصص لى دخلاً سنوياً بمثل هذا المبلغ كل عام .. وأبلغنى بأن هذا المحسن الذى اتفقنا على عدم الإشارة إلى إسمه يهنئنى ببلوغ سن الرشد ويتمنى لى كل توفيق فى حياتى ومستقبلى .

وفى أحد الأيام صحبت «ستلا» لزيارة الآنسة «هافيشام» وسافرنا معاً .. وهناك لاحظت أن الآنسة «هافيشام» قد طعنت فى العمر ، واستقبلت «ستلا» بحب وشغف ..

وفى هذا اللقاء سمعت أغرب حديث فى حياتى حين طلبت الآنسة «هافيشام» من «ستلا» أن تحكى لها قصص ضحاياها من المعجبين الذين أخضعتهم وكسرت قلوبهم .. وعلمت أن «ستلا» كانت تكتب إليها بقصص هؤلاء الضحايا أولاً بأول ..

ـ وعندما رأيت عينى الآنسة «هافيشام» وهما تبرقان من أثر الاستمتاع الشرير بسماع هذه الحكايات .. تأكدت أنها تنتقم الآن من الرجال ، وتأخذ

بثأرها من الرجل الذى تخلى عنها فى يوم عرسها .. وأنها تتخذ من «ستلا» وسيلة لهذا الانتقام ..

وهكذا مرت الأيام والشهور الطوال حتى بلغت سن الثالثة والعشرين .. وكنت قد اشتريت وظيفة فى إحدى الشركات الملاحية لصديقى «هربرت بوكيت».. وقد دفعت مبلغاً كبيراً من المال ثمناً لتلك الوظيفة ، ولكنى اشترطت على أصحاب الشركة ألا يبلغوا صديقى المخلص بأنى أنا الذى دفعت ذلك المال ، وأن يظل هذا سراً بينى وبينهم .

والحقيقة أنى كنت مسرفاً فى الإنفاق .. واشتريت أشياء كثيرة كلفتنى أموالاً طائلة .. وأصبحت غارقاً فى الديون .

وفى إحدى الليالى العاصفة حدث شىء مذهل قلب حياتى رأساً على عقب .. فقد فوجئت برجل فى حوالى الستين من عمره يطرق بابى .. ففتحت الباب وأخبرنى الرجل على الفور إنه يبحث عن مستر «بيب» وإنه سعيد برؤيتى .

كان الرجل يرتدى ملابس جديدة ولكنها خالية من الذوق .. ولاحظت أنه يكاد يطير من الفرح لمجرد رؤيتى أمامه .. ثم توالت بعد ذلك مجموعة من المعلومات الغريبة والأخبار المذهلة .

علمت أن إسمه «أبيل ماجويتش» وأنه نفس السجين الهارب الذى قدمت إليه الطعام والمبرد الحديدى فى طفولتى حين كان مختبئاً فى مقابر قريتى بمقاطعة «كنت» .

وعلمت أن مستر «جاجرز» المحامى هو الذى دافع عنه فى قضيته وأنقذه من حبل المشنقة . ولكن الحكم عليه صدر بأن يهاجر من انجلترا إلى الأبد،

وأن يعيش فى «نيو ساوث ويلز باستراليا» بقية حياته ، وأن حكم الإعدام سينفذ فيه فوراً لو عاد إلى انجلترا .

وعلمت أيضاً أن هذا الرجل قد حقق نجاحاً فى استراليا وأصبح يمتلك مزرعة مليئة بالأغنام .. وأنه طوال حياته هناك ظل محتفظاً بالجميل الذى صنعته من أجله فى طفولتى .. وأنه أقسم أنه يحول إلى كل أرباحه لكى أتعلم وأصبح «جنتلمان» .. وانه يعتبرنى إبناً له ، ويتمنى لى كل نجاح وتوفيق فى حياتى .

كنت أستمع إلى كل هذه المعلومات الغريبة وأنا مذهول تماماً .. وتبددت من ذهنى فى الحال كل الأفكار والظنون القديمة التى كانت تشغلنى من قبل ، حين كنت أظن أن الآنسة «هافيشام» هى التى كانت تنفق علىّ من أموالها لكى أصبح أهلاً للزواج من ستلا .. كل ذلك كان وهماً تبدد أمام تلك الحقائق المفجعة .

كان «أبيل ماجويتش» قد خطط ليعيش متنكراً بالقرب منى .. وقال لى إنه سيتنازل عن كل نقوده لأتولى شئونه وشئون نفسى .. ولكنى رفضت ذلك تماماً .

وتداولت فى أمر تلك المشكلة مع صديقى «هربرت بوكيت» بعد أن أبديت له أنى مصدوم تماماً .. ومن المستحيل أن أعيش مع هذا الرجل أو أقبل نقوده ، ولكن «هربرت» أفهمنى بهدوء أنه يجب أن أعامل الرجل بنفس الكرم الذى عاملنى به .. وإننا يجب أن ننقذه من حبل المشنقة قبل أن تكتشف السلطات أمر عودته إلى انجلترا .. ولذلك فمن الواجب على أن أقنعه بالسفر إلى الخارج حتى ولو اقتضى الأمر أن أسافر معه ، وأن أتركه فى أى مكان آمن بالخارج ليواجه مصيره بنفسه ..

وعلى هذا فقد وضعنا خطة لسفرى مع «أبيل ماجويتش» على ظهر السفينة متجهة إلى هامبورج بألمانيا .. ولكن «أبيل ماجويتش» عارض فكرة تهريبه إلى خارج انجلترا .. ولم يقبل هذا الأمر إلا بعد أن علم بأنى سأكون رفيقه فى السفر .. وأكد لى هذا أن الرجل يحبنى حباً صادقاً ويعتبرنى ابناً له لدرجة إنه ضحى بحياته لكى يرانى ويعيش بالقرب منى ولو متنكراً.

وتوالت على بعد ذلك مجموعة أخرى من المصائب .. فقد علمت أن «ستلا» قد تزوجت من شاب ثرى كريه إسمه «درامل» وأنها سافرت معه إلى فرنسا .. ووقعت مصيبة أخرى حين كنت أزور الآنسة «هافيشام» فى بيتها القديم بالقرب من قريتى فى مقاطعة «كنت» .. فوجدتها حزينة يائسة من حياتها ونادمة على مشاعرها الشريرة .. واعترفت لى بأن «ستلا» ابنتها بالتبنى قد خرجت عن طاعتها وأصبحت تعيش حياتها على هواها .. وبينما كنت أهم بالخروج من بيت الآنسة .. «هافيشام» بعد انتهاء الزيارة سمعت صرخة مرعبة داخل البيت ..

كانت الآنسة «هافيشام» العجوز تصرخ وتولول والنار مشتعلة فى كل شىء بحجرتها وثوب الزفاف الذى كانت ترتديه .. واندفعت محاولاً إنقاذها فاحترقت يداى وأصيبت ذراعى اليسرى إصابة بالغة.

وعلمت من مستر «وميك» الذى يعمل مساعداً بمكتب مستر «جاجرز» المحامى أن «ستلا» هى ابنة الخادمة التى تعمل فى بيت مستر «جاجرز» .. وأن هذه الخادمة كانت متهمة فى الماضى بقتل سيدة أخرى كانت تنافسها فى حب زوجها . ولكن مستر «جاجرز» المحامى استطاع أن يحصل لها على

حكم بالبراءة . ومنذ ذلك الحين وهى تعمل خادمة عنده .. كما أنه هو الذى سلم ابنتها إلى الآنسة «هافيشام» التى تبنتها باعتبارها بنتا يتيمة .

أما كبرى المصائب فقد أبلغنى بها مستر «وميك» وهى أن أمر «أبيل ماجويتش» قد اكتشف .. وأن شخصاً إسمه «كومبايسون» هو الذى أبلغ السلطات بذلك .. ولذلك فإن علينا أن ننفذ خطة تهريبه إلى خارج انجلترا فوراً .

غير أن الخطة قد باءت بالفشل الذريع عند تنفيذها .. فبينما كنا نجدف فى أحد القوارب فى عرض النهر منتظرين الباخرة الألمانية التى اتفقنا مع قبطانها سراً أن يقوم بتهريبنا ـ «أنا وأبيل ماجويتش» ـ إلى ألمانيا .. إذ بقارب كبير للشرطة يعترض قاربنا ويطلب منا تسليم «أبيل ماجويتش» دون مقاومة . وكان «كومبايسون» على ظهر قارب الشرطة ليرشدهم إلى شخصية المتهم المطلوب القبض عليه لإعدامه .

وفى لحظة خاطفة انقض «أبيل ماجويتش» على «كومبايسون» وسقط الرجلان فى مياه النهر .. كما أدت هذه الحركة المفاجئة إلى انقلاب القارب الذى كنا نركبه أنا وصديقى «هربرت» .. وبطبيعة الحال فقد تولى رجال الشرطة انقاذنا جميعاً فيما عدا «كومبايسون» الذى غرق فى النهر .

وحكمت المحكمة بتنفيذ حكم الإعدام فى «أبيل ماجويتش» .. ولكن بالنظر إلى أنه كان مصاباً باصابات بالغة عند سقوطه فى النهر ليلة محاولة تنفيذ خطة هروبه ، فقد سمحوا له بالإقامة فى «مستشفى السجن» وسمحوا لى بزيارته أثناء إقامته بالمستشفى .

وكنت أحرص على تلك الزيارة تعاطفاً مع هذا الرجل الذى ضحى

بحياته لكى يرانى .. كما ضحى بأمواله لتعليمى لكى أصبح «جنتلمان» وآخذ مكانتى فى المجتمع .

وعلمت بالكثير من أسرار الماضى .. فقد قال لى «أبيل ماجويتش» إنه كان متزوجاً من امرأة وأنجب منها طفلة صغيرة .. ولكن هذه المرأة قتلت امرأة أخرى بعد بعد أن علمت بأنها على علاقة بى .. ويقال أن هذه المرأة قد قتلت طفلتها أيضاً ..

وقال لى أيضاً أن «كومبايسون» هذا هو السبب فى كل الجرائم التى ارتكبها «ماجويتش» فقد كان هو الذى يخطط لتلك الجرائم ويطلب منه تنفيذها .. وهو أيضاً كان الشاهد الوحيد ضده حين أدخله إلى السجن .. ولذلك فقد أقسم «ماجويتش» أن ينتقم منه .

وعندما علم صديقى «هربرت» بإسم «كومبايسون» اندهش وقال لى إنه نفس الرجل الذى خدع الآنسة هافيشام وكان سبباً فى مأساتها ..

وكم كنت أتمنى أن يموت ماجويتش قبل أن ينفذوا فيه الحكم بإعدامه .. وقد تحققت هذه الأمنية فى إحدى الليالى بعد أن اشتد عليه المرض وأخذ يحتضر .. وكنت بالقرب منه .. وكان يمسك بيدى ويضعها على صدره .. وقبل أن يموت أخبرته بأن ابنته التى يظن أنها قتلت ، مازالت تعيش كسيدة فى المجتمع الراقى .. وأن إسمها ستلا .. وبالرغم من أنها تزوجت شاباً ثرياً .. فإنى أحببتها منذ أن كنت صبياً صغيراً ألعب معها الورق فى بيت الآنسة «هافيشام» .. واعترفت له بأنى مازلت أحبها حباً صادقاً نبيلاً .. وسأظل أحبها طول حياتى ..

بعد موت «أبيل ماجويتش» .. واجهت حياة شقية بائسة .. فقد

تراكمت على الديون ولم أستطع الوفاء بها .. وسقطت صريع المرض والحمى .. ومن الغريب أنى اكتشفت أن الشخص الوحيد الذى كان يرعانى فى مرضى حتى شفيت هو «جو» زوج أختى والذى كان يرعانى أثناء طفولتى .. بل وعلمت أن «جو» قد قام بسداد كل ديونى ..

وكان صديقى «هربرت بوكيت» قد رحل إلى مصر بعد أن تزوج ليعمل فى فرع الشركة الملاحية التى وظّفته بها ودفعت للشركة ثمن هذه الوظيفة ، وقد وافق أصحاب الشركة على أن أعمل فى فرع الشركة بمصر مع صديقى ، وذلك نظير مرتب مناسب يوفر لى حياة جيدة .

وهكذا عشت حوالى إحدى عشرة سنة بمصر .. عدت بعدها إلى إنجلترا .. وكان أول شىء فعلته هو السفر إلى قريتى بمقاطعة «كنت» لزيارة صديقى القديم «جو» الذى علمت بأن تزوج من فتاة إسمها «بيدى» وأنجب منها طفلاً جميلاً اطلق عليه اسم «بيب الصغير» تيمنا بإسمى .

وأصبحت أنا وبيب الصغير صديقين حميمين .. وكنت أصحبه معى عند زيارتى لمقابر الأسرة .. وتذكرت مشاعرى الخاصة عندما كنت فى كل سنة أزور هذا المكان فى الماضى ..

وقبل أن أغادر قريتى عائداً إلى لندن .. عنّ لى أن أزور بيت الآنسة «هافيشام» .. وكان عبارة عن أطلال محترقة .. وطافت بذهنى ذكريات الماضى البعيد .. ولكنى فوجئت هناك بطيف امرأة وحيدة كانت تتأمل البيت فى ضوء القمر .. لقد كانت هى «ستلا» بلحمها .. وقد تقدمت فى العمر وازدادت جمالاً .. وعلمت منها أنها كانت قد انفصلت عن زوجها بعد حياة شقية .. وإنه مات فى حادثة .. ووجدت نفسى أعترف لها بأن حبها مازال يغمر قلبى .. وإننا لايجب أن نفترق بعد ذلك أبداً .. !

تشارلـس ديكـنز

حكـاية مـدينتين

A TALE OF TWO CITIES

BY : CHARLES DICKENS



انكسر برميل مملوء بالنبيذ الأحمر فى أحد شوارع حى «سانت انطوان» الذى يعتبر من أفقر أحياء مدينة باريس وأكثرها بؤساً .. وعلى الفور ترك جميع الناس أعمالهم وأسرعوا إلى حيث تحطم البرميل، وأخذوا يحاولون شرب قطرات النبيذ قبل أن تبتلعها الأرض ، وخلع بعضهم ثيابه وأخذ يغمسها فى النبيذ المسكوب ويعصرها فى فمه ..

وعلى ناصية الشارع كانت هناك حانة فقيرة يقف أمام بابها صاحبها «المسيو ديفارج» بينما كانت زوجته «مدام ديفارج» منهمكة فى شغل الإبرة بداخل الحانة .. وبعد لحظات وصل رجل عجوز هو «مستر جارفيس لورى» ومعه شابة صغيرة إسمها الآنسة «لوسى مانيت» .. ولهذه الآنسة قصة غريبة بدأت فى طفولتها حين ماتت أمها .. وبعد أن اختفى أبوها «الدكتور مانيت» ولم يعد أحد يعرف مصيره .. وقد أرسلت الطفلة لوسى إلى انجلترا حيث كان أبوها يحتفظ بأمواله فى بنك انجليزى هو «بنك تلسون» .. وتم تعيين «المستر جارفيس لورى» الذى يعمل بنفس البنك والذى كان صديقاً للدكتور «مانيت» وصياً على هذه الطفلة وتولى العناية بتنشئتها وتعليمها .. وقد استعان المستر لورى بسيدة انجليزية تسمى «مسز بروس» لتقوم بتربية الطفلة ورعايتها ، فقامت هذه السيدة بواجبها خير قيام حتى

أصبحت بمثابة الأم للطفلة اليتيمة .. ومرت السنوات الطوال وأصبحت الطفلة «لوسى » شابة رقيقة جميلة .

كان الجميع يظنون أن «الدكتور مانيت» قد توفى بعد أن انقطعت أخباره .. ولكن أخباراً جديدة وصلت تؤكد أن الدكتور مانيت مازال حياً وأنه كان مسجوناً فى سجن الباستيل بباريس ، وقد أطلق سراحه أخيراً ، وأنه الآن فى رعاية «المسيو ديفارج» صاحب الحانة والذى كان يعمل من قبل فى خدمة الدكتور ..

لذلك فقد جاءت «الآنسة لوسى مانيت» ومعها المستر لورى ، للقاء والدها وبحث أحواله التى سمعت أنها سيئة إلى حد كبير .

وأخذهما مسيو ديفارج إلى حجرة فقيرة بأعلى الحانة .. وما أن فتح باب تلك الحجرة حتى أصيبت لوى بالخوف والهلع حين رأت أباها الدكتور وقد ابيض شعره وانحنى ظهره وكان منهمكاً فى صناعة الأحذية مستخدماً منضدة صغيرة عليها عدده وأدواته ..!

● ● ●

كان منظر الدكتور فى غاية البؤس وهو منكب على صناعة حذاء حريمى لدرجة أنه لم يلحظ أحداً ممن دخلوا إلى حجرته يريدون الحديث معه ..

تقدم صديقه العجوز «مستر لورى» إليه .. وسأله فى صوت هادىء .. ألا تذكرنى .. فلم يرد .. وسأله .. ما اسمك فقال بصوت ضعيف : اسمى مائة وخمسة البرج الشمالى [وكان يشير بهذا إلى رقم زنزانة التى سجن فيها فى الباستيل الرهيب] .. وسأله : هل كانت صناعة الأحذية هى حرفتك فى

السجن .. وأخيراً قال مستر لورى : يا صديقى الدكتور مانيت .. ألا تذكرنى ؟.. أنا جارفيس لورى .. صديقك الموظف ببنك تلسون بانجلترا ..

نظر إليه الدكتور المسكين بضعف وانكسار .. ثم انهمك من جديد فى صناعة الحذاء .. وعندئذ اقتربت منه ابنته «لوسى» وملء عينيها العطف والشفقة .. ووضعت يدها بحنان فوق ذراعه .. فالتفت إليها وسألها : هل انت ابنة سجانى فى الباستيل .. ثم بدأ ينظر إليها باهتمام ووضع يده يتحسس شعر رأسها الذهبى .. ويبدو كما لو كان قد أفاق على حقيقة غريبة .. ومد يده إلى صدره وأخرج قطعة ملفوفة من القماش يحتفظ بداخلها ببضع شعرات ذهبية .. وأخذ يتفحصها ويقارنها بشعر «لوسى» وبدت على وجهه كل مظاهر الحيرة ..

وهنا قالت لوسى بعد أن ضمّت رأس أبيها إلى صدرها : ستعرف من أنا فيما بعد .. ولكنى أرجوك الآن أن تمنحنى بركاتك .. وأن تشكر الرب على نجاتك من تلك المحنة الرهيبة .. سآخذك معى إلى انجلترا لتعيش فى سلام..

وذهب مستر لورى ومسيو ديفارج للإعداد لرحلة السفر الطويل .. وبقيت الآنسة لوسى مع والدها الدكتور مانيت الذى نام على ذراعها كطفل صغير برىء .. وعندما عاد الرجلان أيقظاه وألبساه ملابس جديدة ووضعت لوسى يدها فى يده وساعدته على نزول درجات السلم ..

• • •

وفى محكمة «أولد بيلى» بلندن .. انعقدت جلسة خاصة لمحاكمة شخص يسمى «تشارلس دارنى» كان متهماً بجريمة «مساعدة أعداء ملك انجلترا»

.. بناءً على شهادة الشهود الذين كانوا حاضرين بالجلسة .. وكان الدكتور مانيت وابنته لوسى ضمن هؤلاء الشهود الذين ذكروا أنهم شاهدوا المتهم على ظهر السفينة التى كانت مبحرة من فرنسا إلى انجلترا .. وحاول النائب العام أن يثبت بكل الطرق أن المتهم قد ارتكب تلك الجريمة .. ولكن «مستر سترايفر» محامى المتهم فند جميع أقوال الشهود وأفسد شهادتهم أو أوضح عدم كفايتها .. وبذلك انتهى المحلفون إلى قرارهم بأن المتهم «غير مذنب» .

ولكن الآنسة لوسى تأثرت جداً وأغمى عليها لأنها شعرت بأن شهادتها التى ذكرتها أمام المحكمة رغم أنها لم تكن تدين المتهم إلا أنها قد تتسبب فى إيذائه .. وذلك بالرغم من أن «تشارلس دارنى» هذا كان نبيلاً فى تصرفه معها ، بل وساعدها كثيراً فى رعاية والدها أثناء الرحلة على ظهر السفينة .. وكان من الواضح أن شيئاً من العواطف الرقيقة قد ربط بين الاثنين .. تشارلس دارنى ولوسى مانيت .

• • •

«سيدنى كارتون» هو مساعد المستر سترايفر المحامى .. وقد بذل جهداً كبيراً فى المساعدة أثناء نظر القضية ، حتى حكم فى النهاية ببراءة مستر دارنى من التهمة التى كانت موجهة إليه .. ومن الغريب أن «مستر كارتون» يحس بشىء من عدم الارتياح للعلاقة بين «مستر دارنى» و«لوسى مانيت»..

وكان الدكتور مانيت قد عاد الآن إلى حالته الطبيعية تماماً .. وأخذ يمارس مهنة الطب فى لندن ، ويقابل مرضاه فى البيت الذى استأجره هناك .. ومع ذلك فقد كان الجميع يعاملونه بلطف شديد خوفاً من أن تعود إليه حالة

فقدان الذاكرة التى انتابته حين كان مسجوناً بسجن الباستيل فى باريس .

وكان أكثر الضيوف تردداً على بيت الدكتور مانيت وابنته هم المستر كارتون والمستر لورى والمستر تشارلس دارنى ..

● ● ●

بعد عدة شهور من رحيل الدكتور مانيت إلى انجلترا ، وقعت إحدى الحوادث البشعة فى مدينة باريس ، حيث داست عجلات العربة الفخمة التى كان يستقلها «الماركيز إيفرموند» على طفل صغير فقتلته .. لقد كانت العربة منطلقة بأقصى سرعة فى شوارع باريس وحواريها الضيقة المملوءة بالرجال والنساء والأطفال من أبناء الشعب الفرنسى الفقير البائس الذين يبدون جميعاً كالعبيد أمام طبقة النبلاء فى فرنسا .

توقفت عربة الماركيز إيفرموند قليلاً بعد أن مات الطفل المسكين الذى حمله أبوه بين يديه وهو يبكى بكاءً مراً لم يهتم له الماركيز الذى أخرج كيس نقوده وألقى بقطعة ذهبية على الأرض كتعويض عن مقتل الطفل المسكين . وانطلقت العربة بعد ذلك خارجة من باريس واتجهت إلى الريف حيث وصلت إلى المنطقة التى يقع فيها قصر الماركيز إيفرموند ، مارة بقرية صغيرة يعيش فيها عدد قليل من البؤساء الذين يعانون من دفع الضرائب الفادحة التى تفرضها عليهم الدولة والكنيسة .. وكان أحد هؤلاء البؤساء هو عامل إصلاح الطرق الذى شاهد رجلاً غريباً كان متعلقاً بسلسلة أسفل عربة الماركيز .. وأخبر الماركيز بذلك .. وطلب الماركيز إيفرموند من وكيلة «مسيوجابيل» أن يحاول القبض على هذا الرجل ..

وأخيراً دخل الماركيز إلى قصره .. وقال للخدم أنه يتوقع وصول ابن أخيه من لندن إلى القصر ، وعرف من الخدم أنه لم يصل بعد .

● ● ●

وبينما كان الماركيز يتناول طعام عشائه ، وصل ابن أخيه .. لقد كان هو الشخص الذى يعيش فى لندن باسم «تشارلس دارنى» بينما اسمه الحقيقى هو «تشارلس سانت إيفرموند» وهو نبيل ينتمى إلى تلك العائلة الفرنسية التى يرأسها الماركيز .. وكان من الواضح أن الماركيز وابن أخيه الذى ترك كل أمواله وأملاكه فى فرنسا كانا على غير وفاق .. وكان الشاب «دارنى» رافضاً تماماً تلك الغطرسة التى يتمتع بها نبلاء فرنسا .. فترك فرنسا وعمل فى انجلترا كمدرس للغة الفرنسية .

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى وجد الماركيز مقتولاً بسكين مغروس فى قلبه وعلقت به ورقة تقول : هكذا انتقم جاكوس .. ارسلوه سريعاً إلى قبره.

وعاد تشارلس دارنى إلى انجلترا مرة أخرى حيث انتقل إلى العمل فى جامعة كمبردج كمدرس للغة والآداب الفرنسية . وبمرور الشهور تمكن الحب فى قلبه وأصبح يتمنى الزواج من الآنسة لوسى ابنة الدكتور مانيت .. وصرح بذلك لوالدها ووعده بأن هذا الحب والزواج إن تم فلن يكون سبباً للفراق بين الدكتور وابنته .

ولكى يكون «دارنى» صادقاً مع الدكتور ، فقد اعترف له بان اسم «دارنى» ليس إسمه الحقيقى ، بل ان له إسماً فرنسياً مختلفاً .. فطلب منه الدكتور ألا يبوح الآن باسم عائلته وإسمه الحقيقى .. واكتفى الاثنان

بالاقتناع بأنهما فرنسيان خرجا من فرنسا لعدم استطاعتهما العيش داخل الأحوال السيئة السائدة الآن فى بلدهما والتى تسوء يوماً بعد يوم وتوشك على الانفجار من شدة الظلم الواقع على الشعب .. وقبل أن يفترق الاثنان ، وافق الدكتور لمستر دارنى على أن يفاتح لوسى فى حبه لها وطلب الزواج منها..

● ● ●

ومن الغريب أن المستر كارتون الذى يعمل مساعداً لمستر سترايفر المحامى كان يحب لوسى مانيت هو الآخر .. بل واعترف لها بحبه وتجرأ على طلب الزواج منها ، ولكنها أخبرته بلطف وأدب شديد أنها تحترمه ولكنها لاتحبه ولاتستطيع أن تقبل الزواج منه .. فبكى مستر كارتون من شدة التأثر وطلب منها أن تحتفظ بذكرى هذا الاعتراف كسر لايعرفه أحد سواهما فوعدته بذلك ، وأقسم لها بأن يظل مستعداً طول عمره لفدائها وفداء جميع من تحبهم الآن ومن سوف تحبهم فى المستقبل !

● ● ●

وفى فرنسا ، علم أهالى حى سانت انطوان بأن والد الطفل الذى قتل تحت عجلات عربة الماركيز قد قبض عليه بتهمة قتل الماركيز ، وشنقوه فى نفس القرية التى يقع بها قصر الماركيز إيفرموند .. وأصبح من الواضح الآن أن مسيو ديفارج صاحب الحانة فى حى سانت انطوان يترأس جماعة من أفراد الشعب الذين امتلأت قلوبهم بالحقد على طبقة النبلاء .. والذين قرروا فيما بينهم قتل وإبادة جميع أفراد عائلة إيفرموند ، وأن يحرقوا القصر الذى تعيش فيه هذه العائلة النبيلة الظالمة .

● ● ●

وفى انجلترا تزوج النبيل الفرنسى السابق تشارلس سانت إيفرموند الذى يعيش فى انجلترا باسم آخر هو «تشارلس دارنى» من الآنسة لوسى مانيت .. وعاش الزوجان مع الدكتور مانيت وأنجبا طفلة جميلة .. وكان يزورهما بين حين وآخر مستر كارتون ومستر لورى العجوز الذى مازال يعمل فى بنك تلسون بلندن .

وفى يوم ما قال المستر لورى أن الأحوال قد ساءت جداً فى فرنسا وأن معظم الملاك والنبلاء الفرنسيين أخذوا يحولون أموالهم إلى انجلترا هرباً من حالة الغليان التى أصبحت موشكة على الانفجار ..

بل لقد حدث الانفجار بالفعل فى حى سانت انطوان وخرج الشعب مسلحاً بكل ما وصلت إليه أيادى الناس من كل أنواع السلاح ، واندفعوا تحت قيادة مسيو ديفارج صوب سجن الباستيل وهاجموه وأشعلوا فيه النيران .. وأطلقوا سراح المسجونين وقبضوا على جميع ضباط السجن وقتلوا مديره .. وطلب مسيو ديفارج من أحد الضباط الأسرى أن يريه الزنزانة «مائة وخمسة البرج الشمالى» وهى الزنزانة التى كان الدكتور مانيت مسجوناً فيها .. وقام هو ورفاقه بتفتيش الزنزانة ، وأحرقوا محتوياتها ثم خرجوا إلى حيث انطلق الشعب بادئاً الثورة الفرنسية ، وأخذوا يحطمون كل شىء بلا رحمة ولاشفقة .

وانتقلت أخبار الثورة من باريس إلى المدن الفرنسية الصغيرة حيث اُشتعلت الثورة فى كل مكان .. وفى القرية التى يقع فيها قصر الماركيز إيفرموند تجمع الشعب وأشعل النار فى القصر ، وطارد كل من يمت بصلة إلى عائلة إيفرموند ، وخصوصاً المسيو «جابيل» الذى كان يعمل وكيلاً

ومحصلاً للضرائب لصالح عائلة الماركيز . والذى استطاع أن ينجو من الموت والشنق بأعجوبة .

• • •

وفى لندن كان بنك تلسون الذى يعمل فيه مستر لورى العجوز مزدحماً بالنبلاء الفرنسيين الذين حولوا أموالهم إليه .. وكان البنك بالتالى مصدراً مهماً لأخبار الثورة التى اشتعلت فى فرنسا .. وأصبح من الضرورى أن يسافر أحد كبار موظفى البنك إلى فرنسا ليحاول إنقاذ سجلات ودفاتر فرع بنك تلسون بباريس .. وقرر مستر لورى العجوز أن يذهب بنفسه لإنجاز هذه المهمة .. وحاول تشارلس دارنى أن يثنيه عن ذلك بسبب صعوبة الطريق ومشقة الرحلة إلى باريس وسط القلاقل والاضطرابات والمجازر وأعمال الشنق التى سادت فى كل أنحاء فرنسا ..

وفى هذه الأثناء وقع تحت يد تشارلس دارنى خطاب موجه إلى تشارلس سانت إيفرموند .. أى أن هذا الخطاب كان موجهاً إليه هو نفسه .. ولكن أحداً لايعلم اسمه الحقيقى .. وقام تشارلس دارنى بفض هذا الخطاب وقراءته فإذا به يتضمن رسالة كتبها مسيو جابيل الذى كان يعمل وكيلاً لعائلة إيفرموند يبلغه فيها انه مسجون الآن فى سجن «الأبايى» وينتظر الحكم باعدامه بين حين وآخر إلا إذا عاد تشارلس إيفرموند إلى فرنسا وعمل على إظهار براءته وإطلاق سراحه . وفى نهاية الخطاب توسل مسيوجابيل وطلب من تشارلس إيفرموند أن يحضر على الفور لانقاذ حياته .

ولهذا فقد قرر تشارلس دارنى أن يذهب هو الآخر لإنجاز هذه المهمة

ولكنه قرر أيضاً ألا يخبر أحداً بعزمه على هذا السفر الفجائى إلى فرنسا .. حتى بالنسبة لزوجته لوسى وللدكتور مانيت .

• • •

وبعد أن وصل تشارلس إيفرموند إلى فرنسا لاحظ على الفور أن الأحوال قد تغيرت تماماً ، وأن الثوار قد أصدروا قوانين جديدة ، تم بمقتضاها إلقاء القبض عليه وإيداعه بسجن «لافورس» توطئة لمحاكمته وإعدامه بتهمة أنه ارستقراطى مهاجر .

ولم يمر وقت طويل حتى فوجىء المستر لورى الذى كان قد وصل إلى باريس قبل وصول تشارلس دارنى بيوم واحد ، بدخول الدكتور مانيت وابنته لوسى زوجة مستر دارنى إليه فى مكتبه بفرع بنك تلسون بباريس ، وذلك بعد أن وصلت إليهما بلندن أخبار القبض على مستر دارنى ..

كان الدكتور وابنته منزعجين وخائفين من المصير الذى يتوقعه المستر دارنى .. ومع ذلك فقد أعلن الدكتور مانيت أنه قادر على إنقاذ زوج ابنته باعتباره كان سجيناً سابقاً بسجن الباستيل الأمر الذى سيجعله محل فهم وتعاطف مع الشعب الثائر .

وكان الثوار يهاجمون قصور النبلاء والنبيلات ويعيثون فيها أعمال الهدم والحرق والنهب والقتل والإبادة .. بل وكانوا يهاجمون السجون التى وضع بها أفراد طبقة النبلاء توطئة لمحاكمتهم والإطاحة برؤوسهم تحت نصل المقصلة .. ويقومون بقتل هؤلاء المسجونين من الرجال والنساء والشباب والأطفال ، وسالت الدماء أنهاراً فى كل مكان تحت شعار : الحرية .. الآخاء .. المساواة..

ونجح الدكتور مانيت بالفعل فى تقديم نفسه للثوار باعتباره سجيناً سابقاً بسجن الباستيل الرهيب ، فاعتمد عليه الثوار ووثقوا فيه .. ومع ذلك فلم يتمكن الدكتور من إطلاق سراح زوج ابنته تشارلس إيفرموند المدعو تشارلس دارنى .. ولم ينجح إلا فى الإبقاء عليه بعيداً عن شبح التهديد بالقتل إلى أن تجرى محاكمته طبقاً للقوانين الجديدة .

ومر أكثر من عام والسجين تشارلس إيفرموند ينتظر المحاكمة فى سجن «لافورس» .. وفى أثناء ذلك وصل من انجلترا كل من مس بروس ومعها الطفلة لوسى الصغيرة ابنة تشارلس كما وصل أيضاً المستر كارتون ..

وأخيراً تمت المحاكمة وسط جو صاخب اشترك فيه جمهور غفير من الرجال والنساء من أحط طبقات الشعب فى باريس .. وكان هؤلاء الناس يصرخون فرحاً كلما صدر حكم بالإعدام . ويبتهجون بمرأى الرؤوس حين تطير من رقاب الضحايا وتنهمر سيول الدماء ..

ومع ذلك فبفضل الشهادات التى شهد بها كل من الدكتور مانيت والمسيو جابيل ـ الذى أطلق سراحه أخيراً من سجنه ـ برأت ساحة تشارلس إيفرموند من كل تهمة وصدر الحكم باطلاق سراحه فوراً .. وكانت فرحة عارمة اشترك فيها الجميع .

● ● ●

ولكن لم تمض سوى ساعات قليلة على الحرية التى حصل عليها تشارلس إيفرموند .. وبينما كان يجلس هانئاً مع زوجته وابنته ، وصل رجال غلاظ مسلحون بالسيوف والمسدسات وألقوا القبض على تشارلس إيفرموند المدعو دارنى مرة أخرى .. وكانت تهمته هذه المرة هى أنه عدو للجمهورية

الفرنسية ، وأنه من طبقة النبلاء وفرد من عائلة إيفرموند التى مارست أعمال الظلم بوحشية فظيعة ضد الشعب الفرنسى ..

وأثناء المحاكمة ظهرت الكثير من الحقائق عن الفظائع التى ارتكبتها هذه الأسرة فعلاً فى حق الناس .. بل وكان الدكتور مانيت نفسه أحد ضحاياها حيث تسبب بعض أفراد هذه الأسرة فى إدخاله إلى سجن الباستيل بتهمة ظالمة ملفقة .. وبعد تحقيقات واستجوابات مرهقة صدر حكم المحكمة باعدام تشارلس إيفرموند المدعو دارنى بالمقصلة فى ظرف أربع وعشرين ساعة .

● ● ●

وخلال تلك الساعات الأربع والعشرين حدثت مجموعة من الأحداث الغريبة التى غيرت مجرى القصة تماماً ، فقد تمكن المستر كارتون من التسلل إلى الزنزانة التى سجن بها تشارلس دارنى ، وتبادل الاثنان ملابسهما ، وذلك بعد أن قرر المستر كارتون أن يضحى بحياته من أجل من يحب .. وتمكن تشارلس دارنى وزوجته لوسى مانيت وابنته الصغيرة ومعهم الدكتور مانيت والمستر لورى من الهرب إلى انجلترا .. ولحقت بهم أيضاً مس بروس بعد أن وقعت بينها وبين المرأة المتوحشة مدام ديفارج معركة انتهت بمقتل المرأة النهمة التى تسببت فى الإطاحة بمئات من الرؤوس تحت نصل المقصلة .. وكان من نتيجة تلك المعركة أيضاً أن فقدت مس بروس سمعها بفعل طلقة من المسدس الذى كانت تحمله مدام ديفارج .. فقد كانت الطلقة قريبة جداً من أذنها ..

تشارلـس ديكــنز

دافيد كوبرفيلد

DAVID COPPERFEILD

BY : CHARLES DICKENS

الفصل الأول : البيت

إسمى دافيد كوبرفيلد .. وهأنذا أكتب لكم قصة حياتى ..

مات أبى قبل مولدى بفترة قصيرة .. لذلك فلم أعرف سوى أمى وخادمتها «بيجوتى» وهى امرأة طيبة .. وكانت لى عمة إسمها «مس بيتسى تروتوود» .

وعندما كبرت قليلاً وبدأت أدرك الأشياء والأحداث من حولى .. لاحظت أن رجلاً إسمه «مستر ماردستون» كان قد اعتاد أن يصحب أمى كل يوم «أحد» بعد عودتها من الصلاة فى الكنيسة .

وسمعت فى مرة حديثاً كان يدور بين أمى والخادمة «بيجوتى» وكانت كل منهما تتحدث وهى تبكى .. وسمعت «بيجوتى» الطيبة وهى تقول لأمى أن مستر دافيد ـ أنا ـ لايحب هذا الرجل ومن الصعب أن يتعرض لمثل هذا الموقف . وبطبيعة الحال فلم أفهم شيئاً مما كانتا تتحدثان فيه .

وفى اليوم التالى قالت لى «بيجوتى» وهى تربت على كتفى : مستر دافيد .. هل ترغب فى الذهاب معى لزيارة أخى فى منطقة «يارماوث» ونبقى هناك لمدة أسبوعين ؟..

وعندما جاء يوم الرحيل ، ركبنا عربة صغيرة .

وكانت الرحلة طويلة وشاقة ومجهدة وفرحت أخيراً حين وصلنا إلى منطقة «يارماوث» المطلة على البحر . وكانت شوراع المدينة وطرقاتها تفوح برائحة السمك .. ووصلنا إلى بيت مستر بيجوتى شقيق الخادمة بيجوتى . وكان رجلاً طيباً يعمل فى صيد القواقع . وكان البيت عبارة عن قارب كبير مسحوب إلى الأرض . وله لون أسود وتطل من أعلاه أنبوبة يخرج منها الدخان .

وهناك تعرفت على مستر بيجوتى .. وعلى شاب صغير إسمه «هام» .. وعلى بنت صغيرة فى مثل سنى إسمها «إميلى» .. ولاحظت أن هناك امرأة إسمها «مسز جاميدج» تعيش معهم فى هذا البيت بعد أن مات زوجها الذى كان صديقاً للمستر بيجوتى وكان يعمل فى صيد السمك .

وعرفت أن «هام» هو إبن شقيق لمستر بيجوتى مات هو الآخر فى إحدى حوادث البحر .. وأن «إميلى» الصغيرة هى إبنة لأحد أصهار المستر بيجوتى، وقد مات أبوها أيضاً فى إحدى العواصف العاتية .

وقضيت فى هذا البيت أياماً سعيدة .. وأحسست أن إميلى أصبحت قريبة إلى قلبى .. وحان أخيراً موعد العودة إلى بيت أمى .

وبدأت متاعب حياتى حين عدنا إلى البيت .. وهناك علمت أن أمى قد تزوجت المستر ماردستون الذى جاء بأخته «مس جين ماردستون» وهى امرأة كريهة سليطة اللسان ، لتعيش معنا فى بيتنا ..

وكان المستر ماردستون يكرهنى ويضربنى بقسوة ويعاملنى بمنتهى الفظاظة .. كما كانت أخته تسىء معاملتى وتحرض على أمى التى كانت

ترى كل ذلك دون أن تفعل شيئاً سوى البكاء على حالى ، وأخيراً قرروا أن يرسلونى إلى مدرسة داخلية قرب لندن .

الفصل الثانى : المدرسة

وعلمت من سائق العربة وكان إسمه «باركيس» أن المدرسة التى سأذهب إليها مدرسة سيئة .. يكسرون فيها ضلعين من صدر كل ولد .. فامتلأ قلبى رعباً .

كانت المدرسة تقع فى بناية تسمى «سالم هاوس» وعندما وصلت لم يكن بها أحد لأن الدراسة لم تكن قد بدأت بعد العطلة . واستقبلنى هناك مدرس فقير المظهر إسمه «مستر ميل» وقد اصطحبنى هذا المدرس لزيارة أمه العجوز المسكينة التى كانت تعيش فى أحد ملاجىء الفقراء .

وعندما بدأت الدراسة جاء الناظر البدين «مستر كريكل» .. وقدمنى إلى زملائى التلاميذ ، ومنهم «تومى ترادلز» و«ج . ستيرفورث» الذى كان أكبر التلاميذ سناً ويحظى باحترام التلاميذ وإعجابهم ، بالرغم من سوء سلوكه نحو المدرسين .

كان «ستيرفورث» يعامل مدرسنا «مستر ميل» بقسوة شديدة ويوجه إليه إهانات لاحصر لها .. بل وتسبب أخيراً فى فصل هذا المدرس المسكين من المدرسة .

وكانت أيام الدراسة تمضى متماثلة .. وفى أحد تلك الأيام أبلغونى بأن هناك زوارا يريدون مقابلتى .. وفوجئت بوجود مستر بيجوتى وكان يصطحب معه «هام» وأحضر لى هدية من القواقع والمحار ..

وعرّفت مستر بيجوتى بصديقى وزميلى «ستيرفورث»، وسألته إذا كان يقبل أن نقوم بزيارته ـ أنا وستيرفورث ـ أثناء العطلة فرحب بنا .

وعندما بدأت العطلة عدت إلى بيتنا ، ولكنى وجدت كل شىء قد تغير .. كانت أمى قد أنجبت طفلاً رضيعاً تحمله على ذراعها .. ورحبت بى هى وبيجوتى وجلسنا نتناول إفطارنا .. واقترحت بيجوتى على أمى أن ترسلنى إلى عمتى .. ولكن أمى لم توافق على ذلك .

ولاحظت أن أمى تعانى ضعفاً وشحب لون وجهها .. وعندما وصل «مستر ماردستون» وأخته من الخارج .. واصلا سوء معاملتى وتأنيبى على كل صغيرة وكبيرة إلى أن انتهت الأجازة ورحلت عن البيت عائداً إلى المدرسة مرة أخرى .

وبعد نحو شهرين من بدء الدراسة علمت بخبر وفاة أمى .. وبعد حضورى مراسم الدفن ، أخبرتنى مربيتى العزيزة بيجوتى بأن مستر ماردستون وأخته لايريدان أن أعيش معهما فى البيت .. وأنهما استدعياها وأبلغاها بأنهما لايريدانها هى أيضاً .. ولذلك فسوف تصحبنى بيجوتى معها لنعيش فى بيت أخيها .. فسافرنا إلى هناك فى عربة السفر التى يعمل عليها «باركيس» .

وتوطدت أواصر الصداقة بين بيجوتى وباركيس .. وتزوج الاثنان فى النهاية .

الفصل الثالث : الشباب

ولكى يتخلص منى المستر ماردستون بصفة نهائية أرسلنى للعمل فى إحدى الشركات الصغيرة فى لندن ، على أن أعيش هناك فى غرفة لدى

شخص يسمى «مستر ميكاوبر» .. وهو رجل ظريف ذكى حاضر البديهة ، ولكنه كان فقيراً للغاية وغارقاً فى الديون ..

وهكذا التحقت بالعمل وعشت مع أسرة «مستر ميكاوبر» التى تتكون من زوجته وأبنائه الأربعة .. ولكن الدائنين قرروا أن يدخلوا مستر ميكاوبر إلى السجن بعد أن عجز تماماً عن دفع ديونهم .

وجمعت حاجياتى القليلة وقررت اللجوء إلى عمتى «مس بيتسى تروتوود» فهى قريبتى الوحيدة التى أعرفها .

كانت عمتى تعيش وحدها .. ولكنها أسكنت معها شخصاً من أقربائها إسمه «مستر ديك» وكان ضعيف العقل أو شبه مجنون ، ولكنه كان ذا قلب حنون طيب ، وعطف على منذ البداية .

وقررت عمتى أن تلحقنى بمدرسة جيدة فى منطقة كانتربرى .. وسافرت مع عمتى إلى تلك المنطقة ، واتجهت فوراً إلى بيت محاميها «مستر ويكفيلد». وطلبت منه أن يعمل على إلحاقى بمدرسة جيدة .. واقترح عليها المحامى «مستر ويكفيلد» أن أبقى معه لأعيش فى إحدى حجرات بيته .. وقدمنى إلى ابنته الصغيرة الجميلة «مس آجنس» وكانت فى مثل سنى .

وكان مكتب المحاماة ملحقاً بنفس البيت .. وفى هذا المكتب تعرفت أيضاً على شخص غريب إسمه «يورياه هيب» .. وكان له منظر لم أستطع الارتياح إليه . ولاحظت أنه يخفى وراء تواضعه وأدبه كثيراً من المكر والدهاء.

وفى صباح اليوم التالى صحبنى «مستر ويكفيلد» إلى مدرسة جيدة يديرها

ناظر إسمه «الدكتور سترونج» . وبدأت دراستى فى تلك المدرسة .. وكنت أذهب إلى بيت المحامى بعد انتهاء اليوم الدراسى .. لأذاكر دروسى وأعيش حياة هادئة فى ظل هذا المحامى الطيب وابنته الجميلة الطيبة «مس آجنس».

كانت مدرسة الدكتور سترونج رائعة وعظيمة .. وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب ، ولكنه كان بطيئاً للغاية .. لدرجة الإحساس بأنه لن ينتهى من تأليف كتابه قبل مرور ألف سنة !

وكانت عمتى تزورنى بين حين وآخر لتطمئن على أحوالى .. أما «المستر ديك» فكان يزورنى كل يوم أربعاء بصفة منتظمة وقد أصبح محبوباً لدى ناظر المدرسة وأسرته وكل العاملين فيها ، ولدى كل زملائى من التلاميذ الآخرين .. وأصبح الجميع ينتظرون زياراته المنتظمة كل أربعاء .

وفى يوم ما دعانى «يورياه هيب» لتناول الشاى فى بيته ليعرفنى بأمه التى كانت أكثر منه تواضعاً ، وأخذا يوجهان إلى كثيراً من الأسئلة التى تتعلق بكل شىء عن حياة «المستر ويكفيلد» وابنته «آجنس» .

وفجأة ظهر «المستر ميكاوبر» الذى كان يمر مصادفة بباب البيت الذى يسكن فيه «يورياه» وأمه .. فدعوته لينضم إلينا .. وسرعان ماتوطدت علاقته بيورياه هيب ..

الفصل الرابع : العالم

تلاحقت بعد ذلك أحداث حياتى .. بعد أن انتهت دراستى بالمدرسة.. وأصبح من الضرورى أن نتناقش أنا وعمتى فى موضوع مستقبلى ونوع العمل الذى سأشغله .. واقترحت عمتى أن أقوم أولاً برحلة إلى منطقة يارماوث لكى أزور مربيتى بيجوتى وأفكر هناك بهدوء وأدبر أمرى ..

وفرحت بهذا الاقتراح .. ولكنى ذهبت أولاً إلى بيت صديقى «ستيرفورث» لأدعوه إلى مصاحبتى فى تلك الرحلة .. وهناك تعرفت على أمه وهى سيدة عجوز تحب ابنها حباً جماً وتبدو وكأنها لاتفكر فى أى شىء آخر ولاتتحدث عن أى شىء آخر سواه ..

وحين وصلنا إلى منطقة يارماوث وذهبنا إلى بيت «مستر بيجوتى» علمنا أنهم يحتفلون بمناسبة سعيدة حيث طلب «هام» يد «إميلى» . ووقع هذا الخبر كالسهم المغروز فى قلبى ، فقد كنت أحب «إميلى» وأتمنى الفوز بزواجها .. ولكن ذلك أصبح مستحيلاً .. وبينما كنا ـ أنا وستيرفورث ـ نشارك القوم فى هذا الاحتفال ، لاحظت أن إميلى قد انجذبت إلى صديقى ستيرفورث ولم تبعد عينيها عنه ، وكانت تنصت باهتمام من بالغ إلى حديثه عن الصيد والبحر والمراكب .

وانصرفنا بعد انتهاء الحفل قرب منتصف الليل .. وفى الطريق أخبرنى ستيرفورث أن إميلى الصغيرة فتاة جميلة .. وقال إنها لا تهتم كثيرا بخطيبها «هام » وإنها غير فرحة بهذا الزواج !

وانتهت زيارتنا لمنطقة يارماوث .. ولكن بعد عدة أسابيع فوجئت بصديقى ستريفورث يخبرنى بانه قد اشترى مركباً سيقوم بتشغيله فى منطقة يارماوث ، وإنه سيستعين بمستر بيجوتى فى تشغيله .. وكان إسم هذا المركب «طائر العاصفة» فغيره إلى «إميلى الصغيرة»!

وكانت «آجنس» الجميلة تحب أباها وترعى شئونه . ولكن أباها «المستر ويكفيلد» المحامى كان يشرب كثيراً .. واعترفت لى «آجنس» بأنها لاحظت

أن أباها فى الآونة الأخيرة قد بدأ يفقد اهتمامه بالعمل .. وأن «يورياه هيب» قد بدأ يسيطر على أعمال المكتب .

واعترف لى «يورياه هيب» فى مرة بأنه يحب التراب الذى تمشى عليه «آجنس» وأنه يتمنى أن يفوز بالزواج منها .

وكانت عمتى قد سعت إلى إلحاقى بالتدريب على العمل بمكتب المحامى «مستر سبنلو» .. وقد وفقت كثيراً فى هذا العمل الجديد وحزت إعجاب صاحب المكتب .. وفى يوم ما دعانى «مستر سبنلو» لزيارته بمنزله الريفى .. وهناك تعرفت على ابنته «دورا» التى وقعت فى حبها من أول نظرة .. بالرغم من أنها كانت فتاة مدللة «ودلوعة» إلى حد كبير .

ووصلنى خطاب بأن باركيس «يحتضر» ، فأسرعت بالسفر إلى يارماوث وهناك حدثت مصيبتان متتاليتان ، فقد مات «باركيس» كما علمت بأن «إميلى» قد هربت مع صديقى «ستيرفورث» .. وكان وقع هذه المصيبة شديداً على وعلى الجميع .

وصحبت معى «مستر بيجوتى» عند عودتى إلى لندن لكى نقابل أم «ستيرفورث» ونتفاهم معها على طريقة لحل المشكلة ، ولكنها قابلتنا بجفاء وتعالت على «المستر بيجوتى» وأفهمته بأنه من المستحيل أن يتزوج ابنها من فتاة فقيرة غير متعلمة ومن عائلة منحطة إذا قورنت بمستوى عائلتهم.

الفصل الخامس : الزواج

تلاحقت بعد ذلك الأحداث التى أثرت فى حياتى تأثيراً بالغاً .. فقد تزوجت «دورا» الدلوعة المدللة .. وكان زواجاً غير موفق بسبب التفاوت الكبير بين شخصيتى وشخصيتها ..

كما حدثت مصيبة كبرى عندما أفلست عمتى بعد أن فقدت جميع أموالها التى كان يديرها مكتب «المستر ويكفيلد» للمحاماة .

والتحقت بعمل إضافى لكى أزيد من دخلى وأنهض بالمسئوليات التى ألقيت على عاتقى ..

وقد حاولت من جانبى بذل كل جهد ممكن لكى أجعل زوجتى المدللة تنظر إلى الحياة بجدية وأن تتحمل مسئولياتها كزوجة وربة بيت .. ولكن جميع جهودى باءت بالفشل .. ومع ذلك فقد كنت أحرص على عدم إغضابها لأنها كانت رقيقة أكثر من اللازم ومعتلة الصحة ولاتقوى على تحمل أى عبء من أعباء الحياة العادية .

وبعد مضى نحو عامين على زواجنا .. بدأت صحة «دورا» تزداد سوءاً وتزداد خفة فى الوزن يوماً بعد يوم .. وأخذ مرضها يشتد، أسبوعاً وراء أسبوع .. حتى كلبها المدلل الجميل أصبح يبدو مثل كلب عجوز محطم .. إلى أن جاءت النهاية فى لحظة خاطفة .. وماتت «دورا» ووجهها كان متجهاً نحوى..!

الفصل السادس : التسوية

كان «مستر ميكاوير» يعمل مساعداً «ليورياه هيب» فى إدارة المكتب . وقد عمل بجد شديد وبذل جهداً فائقاً فى مساعدة «يورياه» فى كل أعماله ، خصوصاً بعد أن ساءت حالة «المستر ويكفيلد» وأصبح غير قادر على القيام بأعمال المكتب ، وأصبح «يورياه» بالتالى هو المسيطر الوحيد على هذه الأعمال .



وفوجئنا فى يوم ما «بمستر ميكاوبر» يدعونا إلى اجتماع قال إنه فى غاية الأهمية ، وطلب منا أن نحضر كلنا فى الموعد الذى حدده .. وكان مكان الاجتماع هو مكتب «المستر ويكفيلد» الملحق ببيته .

وهناك تجمعنا كلنا .. أنا وعمتى وبيجوتى ومستر ديك ومستر ويكفيلد وابنته آجنس .. وبعد لحظات فوجئت بحضور صديقى «ترادلز» الذى يعمل محاسباً وكان يصحب معه مسز هيب والدة يورياه .

وكان من الواضح أن «يورياه هيب» قد فوجىء بحضورنا كلنا .. واضطرب من أجل ذلك اضطراباً شديداً . خصوصاً عندما نهض «مستر ميكاوبر» وألقى علينا خطبة طويلة تضمنت معلومات فى غاية الغرابة وأثارت دهشتنا .. قال فيها إن «يورياه هيب» هذا ليس سوى لص حقير خدعنا جميعاً .. وإنه قد دبر خطة محكمة خبيثة فغل يد «مستر ويكفيلد»، ومنعه من إدارة أعمال مكتبه .. وقام بعديد من عمليات التزوير فى المستندات .. وغيرّ فى أرقام الحسابات .. واستولى بهذا على مبالغ ضخمة من أموال «المستر ويكفيلد» وأموال عملاء مكتبه .

واختتم «مسترميكاوبر» خطبته المدهشة بأنه الآن قد أرضى ضميره بكشف هذا اللص أمامنا .. وطالبنا بأن نسترد أموالنا وحقوقنا من هذا السارق خائن الأمانة .. وأبلغنا فى النهاية بأنه احتفظ بجميع الوثائق والمستندات التى تدين «يورياه هيب» وتدخله إلى السجن .. وأن صديقنا المحاسب «مستر ترادلز» قد راجع كل هذه المستندات وقام بالتسوية اللازمة .. وإما أن يقبل «يورياه هيب» هذه التسوية ويرد جميع الأموال التى استولى عليها بالغش والتزوير والخداع .. وإما أن ندخله السجن فوراً .

كان «يورياه هيب» قد انهار تماماً بعد أن حوصر أمامنا بكل هذه الجرائم التى ارتكبها .. واقنعته أمه بضرورة الاستسلام والتوقيع على قبول التسوية .. ورد الأموال لأصحابها .. وهكذا استعادت عمتى أموالها .. واستعاد «مستر ويكفيلد» مكتبه وراحته وهدوء باله .. بل واستعاد ابنته التى كانت مطمعاً ليورياه هيب الذى كان يخطط للزواج بها .

واقترحت عمتى أن نكافىء «المستر ميكاوبر» على جهده وأمانته ومساعدته لنا .. وعرضت عمتى عليه أن يهاجر ليجرب حظه فى أرض جديدة كاستراليا مثلاً .. وتعهدت بأن تشترى له تذاكر السفر الخاصة بجميع أفراد أسرته .. وأن تعطى له بعض الأموال الإضافية لتساعده على بداية حياته هناك .. ووافق «مستر ميكاوبر» على ذلك دون أى تردد .

ومن الغريب أن «مستر بيجوتى» ، قد وافق هو أيضاً على الهجرة إلى استراليا ، خصوصاً بعد أن مات «هام» حين كان يحاول إنقاذ بعض البحارة الذين تحطمت سفينتهم فى إحدى العواصف .. وصحب «مستر بيجوتى» معه «إميلى» التى كانت قد عادت إليه بعد تجربتها المريرة مع «ستيرفورث».

أما «ستيرفورث» فقد مات هو الآخر غريقاً بسبب عاصفة هوجاء عاتية هبت على السفينة التى كان يركبها فحطمتها ودمرتها تدميراً .. وماتت أمه أيضاً عند سماعها بخبر وفاة إبنها المدلل ..

الفصل الأخير

سافرت بعد ذلك فى رحلة طويلة زرت فيها إيطاليا وفرنسا وسويسرا .. وبمرور الوقت أحسست بأنى منشغل تماماً بالتفكير فى « آجنس » وأنى

لا أستطيع احتمال البعد عنها .. فعدت إلى الوطن وأنا أنوى أن أعرض على «آجنس» حبى لها ورغبتى فى الزواج منها .

وكانت أسعد الكلمات التى سمعتها فى حياتى كلها .. تلك الكلمات التى قالتها لى «آجنس» ، وهى تضع يدها على كتفى : وأنا أيضاً يا دافيد كوبرفيلد .. لقد أحببتك طوال حياتى ..!

تشارلـس ديكــنز

أوقــات عصيبــة

HARD TIMES

BY : CHARLES DICKENS



[١]

وقعت أحداث هذه الرواية فى بلدة «كوكتاون» بانجلترا .. وفى هذه البلدة كان يعيش المستر جرادجريند .. أحد رجال الأعمال المعروفين ، وصاحب المدرسة التى كان يتعلم فيها بعض الصغار من الأولاد والبنات .

وفى حجرة الدراسة المربعة الشكل الخالية من أية لمسة جمال ، كان يجلس عشرون من التلاميذ والتلميذات حين دخل المستر جرادجريند وأخذ يحدث المدرس بصوت مرتفع :

ـ أريدك أن تعلم هؤلاء الأولاد والبنات «الحقائق العلمية» فقط .. ولاشىء آخر إلا الحقائق العلمية .. فهى الشىء الوحيد الذى سينفعهم .. أنا لا أربى أولادى إلا على الحقائق العلمية .

كان المستر جرادجريند يتميز بتكوين جسمانى غريب .. فكل شىء فيه كان مربعاً .. جسمه .. ورأسه الأصلع .. وأصابع يديه الغليظة .. وعيناه اللتان تشبهان بئرين مظلمين مربعى الشكل .. وكل عضو من أعضائه كان مربعاً بشكل غريب .

وكان يبالغ فى تقديره للحقائق العلمية .. بل ويرى أن أى شىء لايخضع

لإحصاء عدده أو لقياس حجمه أو وزنه أو كمه ، لايعتبر موجوداً ولايعترف به .

والتفت مستر جرادجريند إلى التلاميذ والتلميذات الجالسين فى صمت ، وأشار إلى البنت رقم (٢٠) .. وهى بنت جميلة ذات شعر أسود وعينين سواداوين .. وقال :

ـ أنا لا أعرف هذه البنت من قبل .. ما إسمك ..؟

أجابت البنت رقم (٢٠) وقد احمر وجهها وهى تنحنى بأدب واحترام:

ـ اسمى «سيسى جوب» يا سيدى !

ـ ولكن «سيسى» هذا ليس إسماً .. ضرورى أن اسمك هو «سيسيليا» وليس «سيسى» كما تقولين .

ـ إن أبى ينادينى باسم «سيسى» ياسيدى .

ـ أبوك مخطىء .. ولابد أن يناديك باسم «سيسيليا» .. ماهى صنعته ..؟

ـ هو مدرب خيول بالسيرك ياسيدى .

اشمأز المستر جرادجريند قليلاً وقال مستنكراً :

ـ سيرك ؟! .. اننا لانحب سماع هذه الكلمة .. هل هو يعالج هذه الخيول عندما تمرض ..؟

ـ نعم ياسيدى .. هو يفعل ذلك فى بعض الأحيان .

ـ إذن فهو طبيب بيطرى .. والآن قولى لى يا «سيسيليا جوب» .. ماهو الحصان ؟

ظلت «سيسى» صامتة وقد زاد وجهها احمراراً ولم تنطق بكلمة .. وعلق المستر جرادجريند على ذلك بأن البنت رقم (٢٠) غبية ولاتعرف الحقائق العلمية المتعلقة بالحصان .. ثم قام بتوجيه السؤال نفسه إلى أحد التلاميذ .. وهو ولد أشقر اسمه «بيتزر» وله بشرة شديدة البياض .. فقال «بيتزر» :

ـ الحصان ياسيدى حيوان من ذوات الأربع .. وعدد أسنانه أربعون .. ولايأكل سوى الحشائش والحبوب .. ويلزمه حدوة من الحديد .. ويعرف عمره بفحص بعض العلامات فى فمه .. و ..

وهنا قاطعه المستر جرادجريند وأشار إلى البنت رقم (٢٠) قائلاً أن هذه الحقائق العلمية هى التى يجب أن تعرفها عن الحصان .

وهنا أيضاً أراد المدرس أن يستعرض مقدرته فى تعليم الأولاد والبنات الحقائق العلمية فسألهم : والآن بعد أن عرفتم الحقائق العلمية الخاصة بالحصان .. ما رأيكم لو أردنا تزيين جدران حجرة الدراسة ببعض الصور .. فهل تضعون صوراً للخيول على هذه الجدران ؟

وفى وقت واحد أجاب نصف التلاميذ بكلمة «نعم» بينما أجاب نصفهم الآخر بكلمة «لا» .. وعندئذ قال المدرس أن الخيول لايمكن أن تجرى على الجدران .. هذا هو الواقع .. وهذه هى الحقيقة .. ثم وجه إلى التلاميذ سؤالاً آخر :

ـ نفرض أنكم تريدون شراء سجادة .. فهل تشترون سجادة عليها رسوم للأزهار ؟

أجاب معظم التلاميذ بكلمة «لا» بعد أن أدركوا أن هذه هى الإجابة

التى يتوقعها المدرس .. ولكن المدرس لاحظ أن البنت رقم (٢٠) قالت «نعم» .. وهنا سألها عما إذا كانت ترغب حقاً فى شراء سجادة عليها رسوم للزهور .. فأجابت البنت بالإيجاب .. وقالت أنها تحب الزهور .. فقال المدرس :

ـ ألا تعرفين أن الناس تدوس بأحذيتهم على السجاجيد .. فكيف تقبلين أن يدوس الناس فوق زهورك ؟

انحنت البنت احتراماً وأجابت بصوت خفيض : إن أحذية الناس لن تسبب ضرراً للزهور المرسومة على السجادة يا سيدى .. ان السجادة ذات الزهور المرسومة تجعلنى أتخيل كأنها حديقة جميلة !

وهنا انفجر المستر جراد جريند غاضباً وقال :

ـ سيسيليا جوب .. أنا أمنعك من التخيل .. لامكان للخيال فى هذه المدرسة .. لاتفكرى فى شىء سوى الواقع .. والواقع فقط .. هل تفهمين ؟

وقالت البنت الصغيرة : حاضر يا سيدى ..!

[٢]

أطلق المستر جراد جريند على بيته اسم «ستون لودج» .. وهو بيت مربع الشكل هو الآخر ويبعد نحو ميل خارج مدينة كوكتاون .. وكان يبدو كبيوت الأثرياء ، وكان المستر جراد جريند واحداً من أهم أثرياء المدينة ، فقد كان يتاجر فى المنتجات والأوانى المعدنية التى يشتريها من المصانع ويبيعها للمتاجر ، وحقق من تجارته أرباحاً ضخمة جعلته يتبوأ مكانة رفيعة عالية ، وأهلته لأن يفكر فى ترشيح نفسه ليصبح عضواً فى البرلمان ..

وبعد أن انتهت زيارته للمدرسة ، سار نحو البيت عائداً .. وفى أثناء الطريق ، كان يفكر فى أولاده وبناته الخمسة .. ويفخر بينه وبين نفسه بأنه قام بتربيتهم وتعليمهم الحقائق العلمية ، وأبعدهم تماماً عن قراءة القصص الأدبية والخيالية .. فهم لايعرفون مثلاً قصة «الدببة الثلاث» ، ولكنهم يعرفون أن الدب حيوان ضخم الجسم ومن ذوات الأربع وله غطاء سميك من الفراء ..

وفى أثناء الطريق ، تطرق إلى سمعه صوت الموسيقى المنبعثة من خيمة سيرك «سليرى» .. وكان «سليرى» صاحب السيرك واقفاً أمام باب الخيمة ويصيح داعياً الناس لمشاهدة الألعاب الغريبة التى يقدمها أبطال السيرك .. وبطبيعة الحال ، فقد كان المستر جراد جريند لايحب سماع الموسيقى ولايطيقها ، بل ويعتبرها متعة ذوى الرؤوس الفارغة .. كما كان يعتبر السيرك وألعابه من الأشياء التافهة التى لاتستحق التفكير فيها .

ولاحظ المستر جراد جريند أن هناك ثلاثة أو أربعة من الأطفال يحاولون أن ينظروا خلال ثقب فى خيمة السيرك لمشاهدة مايدور بداخله .. وعندما اقترب منهم ،. فوجىء بأن ابنته «لويزا» وابنه «توماس» كانا ضمن هؤلاء الأطفال .. وكانت المفاجأة قاسية جعلته فى قمة الغضب .. فأخذ يلوم ابنه وابنته ويؤنبهما تأنيباً شديداً .. على تركهما الحقائق العلمية فى سبيل رؤية هذا الشىء التافه الذى يسمى السيرك .

كانت ابنته «لويزا» فتاة جميلة فى الخامسة عشر أو ربما فى السادسة عشر من عمرها ، وتحملت بصبر وحزن شديد تأنيب والدها على هذه الفعلة التى ارتكبتها .. وقال لها فى النهاية : كيف تقدمين على هذا الأمر المخزى ..

وماذا سيقول أصدقاؤك عندما يعرفون أنك كنت تحاولين مشاهدة مايدور فى السيرك .. وماذا سيقول المستر «باوندرباى» عندما يعرف هذا الأمر ..؟!

وعندما سمعت «لويزا» اسم «باوندرباى» أشاحت بوجهها وسارت صامتة حتى وصلوا جميعاً إلى بيتهم «ستون لودج» .. وهناك كان المستر «باوندرباى» جالساً جوار المدفأة فى انتظارهم .. وما أن لاحت «لويزا» أمام عينيه ، حتى شعر بسعادة غامرة وبدا كما ولو كان يقول فى نفسه : «هأنذا يالويزا .. رجلك باوندرباى!» .

كان المستر «باوندرباى» فى نحو الثامنة والأربعين من عمره .. ضخم الجسم .. عالى الصوت .. ومن أكبر أثرياء المدينة .. وصاحب أكبر مصنع للنسيج والملابس .. وصاحب البنك الوحيد فى مدينة كوكتاون .. وكان بالإضافة إلى هذا فظ الطباع ، أحمر الوجه ، أصلع الرأس .. ويفخر دائماً بأنه عصامى بنى نفسه بنفسه .. ويقول باستمرار وفى كل مناسبة أن أمه رمته فى الشوارع حين كان فى الرابعة من عمره .. فاضطر إلى التسول والنوم على الأرصفة .. وأنه لم يذهب بالتالى إلى أية مدرسة ، وإنما علم نفسه بنفسه .. وظل يكافح ويكافح ويجتهد حتى وصل إلى تلك المكانة العظيمة .

وحكى له مستر جراد جريند حكاية «لويزا» و«توماس» والسيرك .. وواصل الأب تأنيب ابنته وابنه أمام المستر «باوندرباى» الذى شارك الأب فى غضبه واحتجاجه .. بل وقال للأب أن السيرك شىء فظيع .. وربما تكون الأحلام هى السبب الذى دفع «لويزا» لمحاولة مشاهدة السيرك .. أو ربما يكون أحد قد أوعز لها بذلك .. وسأل الأب : هل هناك طفل من السيرك ضمن تلاميذ المدرسة ؟

وهنا تذكر مستر جراد جريند الطفلة الصغيرة ابنة لاعب السيرك والتى أسماها «سيسيليا جوب» .. وعندما ذكر هذا الأمر أمام مستر «باوندرباى» صاح هذا الأخير بأن من الضرورى أن تطرد هذه البنت من المدرسة فوراً .. فوافق مستر جراد جريند على ذلك ، وقام ليفحص بعض الأوراق ليتعرف على عنوان والد هذه البنت ..

وفى تلك الأثناء قام المستر «باوندربارى» وتوجه إلى حجرة الدراسة المنزلية حيث توجد «لويزا» وبقية إخواتها وأخواتها .. وحاول ملاطفة «لويزا» مذكراً إياها بأنه أقنع أباها بأن يصفح عنها وأنه يستحق من أجل ذلك أن تعطيه قبلة .. فقدمت «لويزا» خدما فطبع عليه قبلة خاطفة وانصرف خارجاً من الحجرة ليتوجه مع المستر جراد جريند ليقوما معاً بمهمة طرد البنت الصغيرة من المدرسة ..

وما أن خرج مستر «باوندرباى» من المنزل ، حتى أخذت لويزا تمسح خدها بيدها وتحكه بعنف حتى تمحو أثر تلك القبلة ..!

[٣]

سار السيدان «جراد جريند» و«باوندرباى» فى شوارع مدينة كوكتاون قاصدين عنوان البيت الذى يعيش فيه لاعب السيرك «جوب» والد البنت الصغيرة «سيسى» .. كانت المدينة من المدن الصناعية الكئيبة .. مبانيها وبيوتها مبنية بالقرميد الأحمر الذى تراكمت عليه طبقات من الهباب الأسود الذى يخرج من مداخن المصانع .. وكل شىء فى تلك المدينة كان ملوثاً بالهباب والغبار .. حتى النهر الصغير والترعة الضيقة كانت مياههما حمراء

وسوداء بسبب نفايات المصانع وبقايا الأصباغ التى تستعملها مصانع النسيج .

أما سكان تلك المدينة وأغلبهم من العمال الفقراء ، فكانوا يعملون من السابعة صباحاً إلى السابعة مساءً .. أيامهم متشابهة ليس فيها إلا الكد والتعب والشقاء .. ومعظمهم كانوا يهربون من همومهم بشرب الخمر ولايذهبون إلى الكنيسة فى أيام الآحاد .

وعندما اقترب السيدان من عنوان البيت شاهدا البنت الصغيرة وطلبا منها أن تدلهما على مكان أبيها لأنهما يريدان التحدث إليه فى أمر هام.. وذهبت «سيسى» لاستدعاء أبيها .. ولكن حدثت مجموعة من المفاجآت التى لم يتوقعها أحد ..

جاء كثيرون من لاعبى ولاعبات السيرك .. كما جاء «سليرى» صاحب السيرك لمقابلة السيدين .. وعلم السيدان منهم أن اللاعب «جوب» والد الصغيرة «سيسى» قد ترك السيرك ورحل ، بعد أن شعرأنه قد كبر فى العمر ولم يعد قادراً على إضحاك المتفرجين ، فخجل من نفسه وقرر الرحيل مع كلبه المسمى «ميرى ليجز» .. وانه ترك ابنته الصغيرة فى رعاية زملائه لعلها تصبح ذات يوم لاعبة فى السيرك .

كان وقع هذه المفاجأة قاسياً على البنت الصغيرة فأخذت تبكى .. ولكن بعد مداولات ومفاوضات طويلة ، قرر المستر «جراد جريند» أن يتولى رعاية البنت الصغيرة «سيسيليا جوب» بنفسه ، وأن يتيح لها التعلم فى مدرسته كما كان يريد أبوها .

وهكذا عاد السيدان «جراد جريند» و «باوندرباى» إلى «ستون لودج» .. ومعهما البنت الصغيرة رقم (٢٠) .. سيسيليا جوب ..!

[٤]

وبدأت حياة «سيسى» فى بيت المستر «جراد جريند» بمجموعة من الأوامر والنواهى والممنوعات التى يفرضها الأب على أبنائه كلهم .. ممنوع السرحان .. ممنوع التخيل .. ممنوع قراءة القصص والروايات الأدبية لأنها تتضمن خيالات وأحداثاً غير حقيقية ولا واقعية عن الجنيات الطيبات والشريرات .. وعن مغامرات روبنسون كروزو .

وواظبت «سيسى» على الذهاب إلى المدرسة وانتظمت تماماً فى دراسة الحقائق العلمية .. كما تولت رعاية «مسز جراد جريند» ـ أم الأطفال ـ التى كانت تعانى من بعض الأمراض ومع ذلك فقد كانت حازمة فى تنفيذ أوامر زوجها بمنع السرحان فى هذا البيت والالتزام الصارم بالحقائق العلمية والأشياء الواقعية .

وبطبيعة الحال فقد سئم جميع أولاد وبنات المستر «جراد جريند» هذه الحياة وضاقوا بها .. كانت الحياة أقرب ماتكون إلى حياة السجن الخالية من البهجة .. وفى يوم ما دار حوار بين الابن «توم» وأخته «لويزا» نفهم منه أن «توم» لايحب إلا نفسه ولايرى إلا مصلحته الشخصية .. وأنه يشجع أخته «لويزا» على الاقتران بمستر «باوندرباى» لأن هذا الزواج سيكون سبيله إلى العمل بالبنك الذى يمتلكه المستر «باوندرباى» .. كما سيكون فرصة أمام أخته لتتمتع بثروة المستر «باوندرباى» الطائلة وأملاكه الشاسعة .. وأن هذه المتعة ستنعكس عليه أيضاً ..

هذا كله بالرغم من أن الأخوين «توم» و«لويزا» كانا يعلمان بأن الحياة فى

بيت المستر «باوندرباى» أكثرء كآبة من الحياة فى بيت أبيهما .. ولكن هذه الأمور كلها كانت أشياء واقعية يعلمها الجميع ..

وفى واقع الأمر كان بيت المستر «باوندرباى» تحت السيطرة التامة من «مسز سبارسيت» التى كانت تعمل مديرة لهذا البيت .. وكانت امرأة تنتمى إلى إحدى الأسرات الغنية الكبيرة ، ولكنها اختلفت مع أسرتها بعد وفاة زوجها ، واضطرت لأن تعمل مديرة لبيت المستر «باوندرباى» وتقيم فيه طول الوقت .

وكان الاثنان «مستر باوندربارى ومسز سبارسيت» على طرفى نقيض .. فالمرأة كانت تفخر دائماً بعائلتها وبأصلها العريق ، بينما الرجل كان يفخر دائماً بأصله الوضيع وعصاميته ونجاحه فى أن يصنع نفسه بنفسه ..

وأخيراً .. انتهى الحوار بين «توم» وأخته «لويزا» بأن قال توم فى حزن وأسى أن أباه قد رباه لكى يصبح حماراً .. ولقد أصبح حماراً بالفعل ولاينقصه سوى أن يرفس الناس ..!

[٥]

وهكذا عاشت «سيسى» مع أسرة المستر جراد جريند فى «ستون لودج» .. وكانت الآنسة «لويزا» قليلة الحديث معها .. بالرغم من أنها لاحظت أن «سيسى» كانت ترعى أمها المريضة رعاية جيدة ، ولذلك فقد حاولت «لويزا» أن تتقرب منها ، أو أن تشرح لها بعض الدروس الصعبة المتعلقة بالحقائق العلمية ..

وبالرغم من أن مستر جراد جريند قد حذر «سيسى» من التحدث عن

أبيها أو عن حياتها الماضية ، إلا أن «لويزا» استطاعت أن تستدرج «سيسى» إلى هذا الحديث .. وقالت «سيسى» أن أمها كانت تعمل راقصة وأنها ماتت أثناء ولادتها .. وأن أباها كان يحبها حباً جماً .. وكان يتمنى دائماً أن تستكمل تعليمها .. وكان يعمل بقدر طاقته ـ باعتباره مهرجاً فى السيرك ـ على محاولة إضحاك المتفرجين .. ولكنه عندما كبر بدأ يلاحظ أن المتفرجين لايضحكون على تمثيله أو حركاته .. فشعر بالفشل والاحباط ، واضطر إلى الاختفاء وترك العمل فى السيرك .. وبالرغم من كل ذلك فإن «سيسى» لم تفقد الأمل فى أن أباها سيعود فى يوم ما .. أو ربما سيكتب لها رسالة .. وكان هذا الأمل هو حلم حياتها .. !

[٦]

كان «ستيفن بلاكبول» يعمل نساجاً فى المصنع الذى يمتلكه المستر «باوندرباى» .. وكان فقيراً وغير متعلم ، ولكنه كان طيباً لايصنع شراً ولايحمل ضغينة .. وكان يعيش فى حجرة ضيقة تقع فوق متجر فقير تمتلكه سيدة عجوز .

كان «ستيفن بلاكبول» فى نحو الأربعين من عمره .. ومع ذلك فقد كانت تربطه علاقة حب جارف بامرأة طيبة اسمها «راشيل» .. كانت تعطف عليه وتحاول بقدر إمكانها أن تخفف عنه بعض مايشعر به من بؤس وشقاء وتعاسة .. فقد كان «ستيفن بلاكبول» متزوجاً من امرأة سكيرة شبه مجنونة حولت حياته إلى جحيم لايطاق .

كانت هذه المرأة كثيراً ماتهرب من البيت وتختفى .. خصوصاً بعد أن تغافل زوجها وتبيع كل مايوجد فى البيت من أثاث أو ملابس ، ثم تهرب

بالنقود لتشترى ما يكفيها من الشراب لكل تظل مخمورة طول الوقت .

وفى لحظة من لحظات اليأس والشعور بالاحباط .. انتهز «ستيفن بلاكبول » فرصة الوقت المخصص للراحة بين فترتى العمل ، وأسرع إلى بيت المستر «باوندرباى» وطلب من «مسز سبارسيت» أنت تسمح له بمقابلة سيادته لأمر هام .

وعندما تمت المقابلة ، أخذ «ستيفن بلاكبول» يشرح «للمستر باوندرباى» معاناته من هذا الزواج الفاشل ، وطلب منه أن يدله على طريقة قانونية للتخلص من هذه الزوجة الكريهة المخربة .. ولكن «المستر باوندرباى» أفهمه بأن عقد الزواج أبدى ولاسبيل من الفكاك أو التخلص منه .. وأفهمه أيضاً بأن عليه أن يهتم بعمله باعتباره من «الأيدى» الجيدة .. وكان «مستر باوندرباى» يسمى عمال مصنعه باسم «الأيدى» .

وعندئذ أدرك «ستيفن بلاكبول» أن التخلص من هذا الزواج يعتبر من الأمور المستحيلة بسبب القوانين التى تنظمه .. وأصبح يقول بينه وبين نفسه: إن هذه القوانين عبارة عن «لخبطة» .. «لخبطة» كبيرة !

[٧]

وعندما خرج «ستيفن بلاكبول» من بيت «المستر باوندرباى» تقدمت إليه امرأة عجوز تلبس ملابس نظيفة .. وسألته فى لهفة عن أحوال «المستر باوندرباى» .. وهل هو بخير وفى صحة جيدة ؟.. وهل مازال محتفظاً بعزمه وقوته وحماسه ..؟

اندهش «ستيفن بلاكبول» من تلك الاسئلة المتلهفة التى قالتها العجوز

.. ولكن دهشته صارت أكبر عندما أخبرته المرأة العجوز بأنها تعيش فى بلدة تبعد عن «كوكتاون» بنحو خمسين ميلاً .. وأنها تدخر بعض النقود من دخلها المتواضع لتتمكن من الحضور بالقطار إلى «كوكتاون» مرة واحدة أو مرتين كل عام .. وذلك لتطمئن بنفسها على أحوال الرجل النبيل «مستر باوندرباى» .. وتفرح كثيراً عندما تعلم أنه يواصل النجاح باستمرار .

ودخل «ستيفن بلاكبول» إلى المصنع مع بقية العمال عندما دق الجرس معلنا انتهاء فترة الراحة .. وترك المرأة العجوز واقفة عند الباب بعد أن قالت له أن صوت هذا الجرس من أجمل الأصوات التى تسمعها فى حياتها ..

وظلت العجوز واقفة حتى دارت الآلات وعلا ضجيجها ، واندفع الدخان الأسود من أعلى المداخن .. وبطبيعة الحال ، لم يفهم «ستيفن بلاكبول» سر هذه المرأة الغريبة ، ولا سر سعادتها بنجاح «المستر باوندرباى» ونجاح مصنعه .. ولم يشغل نفسه كثيراً بهذا الأمر ، واستغرق فى عمله حتى انتهت الوردية ودق الجرس معلنا موعد الانصراف .

كان الجو ممطراً عندما خرج «ستيفن بلاكبول» إلى الشارع .. وحزن كثيراً عندما لاحظ أن «راشيل» لم تكن فى انتظاره .. وأقنع نفسه بأن المطر الغزير المتساقط هو السبب فى عودتها سريعاً إلى بيتها .. وبالرغم من غزارة هذا المطر فقد أحجم «ستيفن بلاكبول» عن العودة إلى بيته .. وظل يسير متسكعاً فى الشوارع حتى انتصف الليل وأقنع نفسه بأن زوجته الكريهة لابد أن تكون قد استغرقت فى النوم .. ولذلك فقد اتجه صوب بيته وهو يتمنى أن ينام دون أن تحدثه أو تتشاجر معه .. ويتمنى أيضاً أن يذهب إلى عمله فى صباح اليوم التالى قبل أن تستيقظ من نومها .

ولكن عندما وصل إلى حجرته ، كانت هناك مفاجأة مذهلة .. كانت «راشيل» جالسة بجوار السرير الذى ترقد عليه زوجته المستغرقة فى النوم بلا حركة .. وفهم من «راشيل» أن صاحبة المتجر قد استدعتها عند الظهر لانقاذ الزوجة السكيرة التى آذت نفسها وتعانى كثيراً من المتاعب .. فقامت باستدعاء طبيب ليفحصها ويعالجها .. وأنها ظلت بجانبها منذ ذلك الوقت .. وستظل بجانبها حتى حين موعد الجرعة التالية من الدواء فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ..

وعندئذ أدرك «ستيفن بلاكبول» أن «راشيل» تحمل قلباً كبيراً مليئاً بالمشاعر الإنسانية الطيبة .. وبالتالى فقد ازداد حبه لها أكثر وأكثر ..

[٨]

ومر عامان ...

وأصبحت «لويزا» شابة جميلة فى العشرين من عمرها .. كما أصبحت «سيسى جوب» شابة رقيقة عطوفة ، أحبها جميع أهل البيت .. خصوصاً الأم المريضة «مسز جراد جريند» و«لويزا» .. إلا أن «المستر جراد جريند» كان يأسف لأن عقل «سيسى» لم يستوعب «حقائق الواقع» ولكنه مع ذلك كان شاكراً «السيسى» رعايتها لزوجته المريضة وابنته الشابة «لويزا» .

وحقق «المستر جراد جريند» أمله فى دخول البرلمان بأن أصبح عضواً فيه يمثل «حقائق الواقع » .. هكذا كان يصف نفسه .. كما أصبح ابنه «توم» موظفاً فى البنك الذى يملكه «المستر باوندرباى» .

وفى إحدى الأمسيات أخبر «توم» أخته «لويزا» أن والدهما و«المستر

باوندرباى» يعقدان اجتماعاً فى البنك ، بعيداً عن «مسز سبارسيت» للبحث فى أمر زواجها من «مستر باوندرباى» .. ورجاها أخوها أن تقبل هذا الزواج لأن فيه مصلحته .. لقد كان «توم» لايعرف إلا حقيقة واحدة ، هى مصلحته التى يضعها فوق كل شىء .

وفى صباح اليوم التالى ، فاتح الأب ابنته «لويزا» فى أمر هذا الزواج .. واعترف الأب أن فارق السن بينها وبين «المستر باوندرباى» الذى يبلغ الآن الخمسين من عمره ليس مهما .. لأن فى معظم الزيجات يكون الرجل أكبر فى السن .. مثلما يحدث فى انجلترا وفى الهند وفى الصين .. كما أن أهم الحقائق الواقعية فى هذا الموضوع هى أنهما متكافئان فى الوضع الاجتماعى وفى الثروة .

وعندما سألته «لويزا» عما إذا كانت هذه الحقائق الواقعية يمكن أن تحل محل الحب .. أجابها الأب بأنه لايعرف الإجابة عن مثل هذا السؤال ، لأنه لايعرف المعنى الحقيقى لكلمة «الحب» التى يتداولها الشبان الحمقى .. وليس هناك أى رابط بين كلمة الحب وموضوع زواجها من «المستر باوندرباى» .. هذه هى الحقيقة !

وانتهى الحوار بقبول «لويزا» الزواج من «مستر باوندرباى» مادام فى ذلك تحقيق لرغبة أبيها .. وبشرط ألا يطلب منها «المستر باوندرباى» أن تحبه .. وعندما قام الأب باخبار هذا النبأ المفرح لزوجته ، وكانت «سيسى جوب» جالسة بجوارها .. فرحت الأم ، بينما نظرت «سيسى» إلى «لويزا» نظرة كلها شفقة وأسى !

[٩]

كان «المستر باوندرباى» متحرجاً فى إخبار «مسز سبارسيت» بأمر زواجه

.. ومع ذلك فقد فاتحها فى هذا الموضوع ، وعرض عليها أن تنتقل من الإقامة فى البيت لتسكن فى بعض الحجرات القائمة فوق مبنى البنك ، وأن تستمر فى الحصول على مرتبها ، وإنه سيعين خادمة لها أثناء النهار ، كما سيكون الحارس الليلى للبنك تحت إمرتها .. وقبلت «مسز سبارسيت» هذا العرض .

وهكذا تم زواج «مستر باوندرباى» من «لويزا» .. وفى يوم الزفاف ألقى «المستر باوندرباى» خطبة ذكّر الضيوف والسامعين فيها بأنه الرجل العصامى الذى خرج من الشوارع ونام على الأرصفة ، وقد أصبح اليوم من أكبر رجال الأعمال فى المدينة ومن أغنى أغنيائها .. وأنه سعيد بزواجه من «لويزا» إبنة «المستر جراد جريند» عضو البرلمان ومن أهم رجال المدينة .

وبعد أن انتهى من خطبته ، قام هو وزوجته بتوديع الحاضرين قبل سفرهما إلى فرنسا لقضاء شهر العسل .. ولأن «المستر باوندرباى» كان يرغب فى زيارة مصانع النسيج فى مدينة «ليون» بفرنسا .

[١٠]

مر نحو عام على زواج «مستر باوندرباى» و«لويزا» .. وفى إحدى أمسيات الصيف ، كانت «مسز سبارسيت» تطل من إحدى نوافذ مسكنها القائم فوق مبنى البنك لتتسلى برؤية المارة فى الشارع ، أو برؤية «مستر باوندرباى» حين ينصرف من البنك ليذهب إلى بيته .

وكان الحارس الليلى للبنك شاباً اسمه «بيتزر» .. وهو نفسه الطالب «بيتزر» الذى تعلم الحقائق العلمية فى مدرسة «المستر جراد جريند» ويعرف جيداً زميلته السابقة البنت رقم (٢٠) .. «سيسى جوب» .

أعد «بيتزر» قدحاً من الشاى قدمه إلى «مسز سبارسيت» التى شكرته على ذلك، وطلبت منه أن يحكى لها ماعرفه من أخبار فى هذا اليوم .. لقد كان «بيتزر» يعمل موظفاً بالبنك أثناء النهار .. وكانت مهمته أن يتسمع إلى الأحاديث التى تدور بين عملاء البنك أو التى تدور بين الموظفين لينقلها حرفاً حرفاً إلى «مستر باوندرباى» ..

قال «بيتزر» أن كل شىء على مايرام .. فيما عدا أن عمال مصنع النسيج الذى يملكه «مستر باوندرباى» يريدون إنشاء نقابة تضمهم وترعى مصالحهم .. كما أن الشاب «توم جرادجريند» شقيق «لويزا» الذى يعمل موظفاً بالبنك لايؤدى عمله باخلاص .. بل هو كسول ومبذر يصرف أموالاً كثيرة على شرب الخمر .

وبعد لحظات سمعا طرقاً على الباب .. فذهب «بيتزر» ليعرف من الطارق ، وأخبر «مسز سبارسيت» أن رجلاً أنيقاً يريد أن يقابلها ..

كان هذا الزائر رجلاً فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره .. مشرق الوجه مليح القسمات جميل الصوت .. وقال انه قادم من لندن من طرف صديقه عضو البرلمان «مستر جرادجريند» .. وأنه يحمل رسالة منه إلى «المستر باوندرباى» .. وتتضمن هذه الرسالة تعريفاً بنفسه وبالمهمة التى جاء من أجلها إلى مدينة «كوكتاون» .

ودار حديث قصير بين الزائر و«مسز سبارسيت» .. نفهم منه أن الزائر يعرف أن «مستر باوندرباى» متزوج من ابنة «المستر جرادجريند» .. وانه كان يظن أن «مسز لويزا» فى الخامسة والثلاثين أو فى الأربعين من عمرها ، إلا أن «مسز سبارسيت» صححت معلوماته ، وأخبرته بأن السيدة «لويزا» شابة صغيرة .. أصغر بكثير مما يظن .

[١١]

وفى صباح اليوم التالى تم التعارف بين هذا الزائر ـ وكان اسمه «جيمس هارتهاوس» ـ وبين «المستر باوندرباى» .. الذى عرف من الرسالة التى أرسلها إليه «مستر جراد جريند» أن «جيمس هارتهاوس» هيأ نفسه لخدمة الحقائق الواقعية فى مدينة «كوكتاون» .. وإنه بارع فى إلقاء الخطب البليغة .. وربما سيصبح عضواً فى البرلمان .. ولذلك فقد قام «مستر باوندرباى» بتقديمه إلى أعيان المدينة ورجالها المعروفين ..

ويطبيعة الحال أخذ «المستر باوندرباى» يتفاخر أمامه بأنه رجل عصامى بنى نفسه بنفسه بعد أن تركته أمه فى الشوارع ليقتات من فضلات الطعام الملقاة فى صناديق القمامة ولينام على الأرصفة أو بداخل الخرائب .

وفى المساء دعاه «المستر باوندرباى» لتناول العشاء فى بيته ، ليقدمه إلى زوجته «لويزا» وأخيها «توم» .. ودارت أحاديث كثيرة نفهم منها أن «مستر جيمس هارتهاوس» كان ضابطاً بالجيش البريطانى ، ثم مل الحياة العسكرية فاستقال واشتغل فى كثير من الأعمال المدنية فى انجلترا وفى الخارج ..

ولأن «جيمس» كان جذابا وذكيا ، فقد فهم على الفور طبيعة العلاقات العائلية فى هذا البيت .. بين تلك الزوجة الجميلة الصغيرة وزوجها الكهل الذى يكبرها بسنوات كثيرة .. ولاحظ أيضاً أن «مسز لويزا» تحب أخاها أكثر مما تحب زوجها .. وتتحادث مع أخيها طول الوقت ولاتلتفت إلى حديث زوجها إلا لماماً ..

ولاحظ أيضاً أن «توم» شاب صغير أهوج .. ويبدو فظ الطباع حتى مع

أخته .. وبالرغم من أن «مسز لويزا» كانت تسيطر على تصرفاتها طول الوقت ، إلا أن «مستر جيمس هارتهاوس» قد أدرك بسهولة أن قلبها يعانى الوحدة !

[١٢]

وبعد انتهاء العشاء ، قام «توم» بتوصيل «مستر جيمس هارتهاوس» إلى الفندق الذى ينزل فيه .. وقد حرص «جيمس» من البداية على أن يتقرب من «توم» بالرغم من أنه كان يعتبره بينه وبين نفسه مجرد جرو أو كلب صغير.

وفى الفندق ، قدم «مستر جيمس هارتهاوس» كثيراً من الشراب إلى «توم» حتى أفقده السيطرة على نفسه وعقله ، وأصبح لقمة سائغة يستقى منها مايريده من معلومات عن أفراد أسرة «مستر باوندرباى» وخصوصاً «لويزا» ..

ونتيجة للأسئلة الكثيرة التى سألها «جيمس هارتهاوس» قال «توم» كثيراً من المعلومات عن أخته .. قال أنها سيدة صغيرة طيبة .. وأنها تحبه أكثر من زوجها .. بل لقد وافقت على الزواج من «مستر باوندرباى» لأنه هو الذى شجعها على ذلك حتى يلتحق بالعمل فى البنك الذى يمتلكه «المستر باوندرباى» .. واعترف له أيضاً بأن «لويزا» لاتحب زوجها .. وانها لم تعرف فى حياتها رجلاً آخر ، لأنها تربت على الحقائق الواقعية الجافة التى كان أبوهما «المستر جرادجريند» يحرص على تلقينها لأبنائه .. وقال فى النهاية أن هذه التربية قد جعلت منه حماراً .

[١٣]

قام عمال النسيج فى مدينة كوكتاون بتكوين نقابة تحت قيادة «المستر

سلاكيريدج» الذى لم يكن عاملاً مثلهم ، وإنما كان متحدثًا لبقًا يجيد الخطابة .. وقد انضم جميع عمال النسيج إلى تلك النقابة فيما عدا عامل واحد .. هو « ستيفن بلاكبول » .

حاول زملاؤه العمال أن يثنوه عن قراره بعدم الانضمام إليهم ولكنهم فشلوا .. فطلبوا منه أن يخبرهم بالأسباب التى دعته إلى اتخاذ هذا الموقف ، فقال أن لديه أسبابًا كثيرة .. منها أنه يعانى من مشاكل شخصية تبدو وكأن لا حل لها .. وأن انضمامه إلى النقابة لن ينفعه ، ولن ينفع أيضًا الزملاء الذين انضموا إلى تلك النقابة !

وكان « ستيفن بلاكبول » يعلم جيدًا أن عدم انضمامه إلى عضوية النقابة سيجعل جميع زملائه من العمال يتحاشونه ويقطعون كل صلة به .. بل وسيمتنعون أيضًا عن الكلام معه .. ولكنه مع ذلك أصر على موقفه ..

وفى الأيام التالية تحققت كل تلك المخاوف .. وأصبح « ستيفن بلاكبول» وحيداً منبوذًا .. وبعد نحو أربعة أيام ، وبينما كان يغادر المصنع بعد انتهاء العمل ، تقدم إليه الشاب « بيتزر » وأبلغه أن « مستر باوندرباى » يطلبه .. وأن عليه أن يذهب إلى بيت « مستر باوندرباى » فورًا .

وعندما استقبله « مستر باوندرباى » فى بيته .. كان يجلس معه فى نفس الحجرة « مسز لويزا باوندرباى » .. وأخوها « توم » .. و « مستر جيمس هارتهاوس » .

وبادره « مستر باوندرباى » بسؤال :

ـ ماذا فعل بك رعاع كوكتان يا « ستيفن » .. ؟

فأجاب « ستيفن بلاكبول » على الفور :

ـ لا يا سيدى .. إنهم ليسوا رعاعًا ولا لصوصًا .. إنهم عمال شرفاء .. يكدحون ويعملون طول حياتهم .. كلهم بدأوا العمل منذ أن كانوا أطفالاً صغارًا .. وهم لا يتوقفون عن العمل إلا حين يحضرهم الموت .. وعندئذ فقط تبدأ راحتهم الأبدية .. إننا يا سيدى نعيش فى مدينة غنية جدًا ولكنها فى الوقت نفسه مدينة فقيرة جدًا .. إنها يا سيدى « لخبطة » كبيرة .. !

استشاط « المستر باوندرباى » غضبًا فصاح عاليًا :

ـ ها أنت تتكلم عن الأغنياء والفقراء .. وتظن أننا نأكل بملاعق ذهبية .. اسمع يا « ستيفن » .. فى نهاية هذا الأسبوع خذ أجرك وابحث لك عن مكان آخر .. أنت مطرود !

[١٤]

خرج « ستيفن بلاكبول » حزينًا .. ولكنه لم يكد يخرج من بيت « المستر باوندرباى » حتى وجد مفاجأة .. بل مفاجأتين فى انتظاره .. لقد شاهد حبيبته « راشيل » واقفة مع السيدة الغريبة العجوز التى قابلها منذ أكثر من عام فى المكان نفسه .. أمام بيت « مستر باوندرباى » .. !

وما أن سلم عليهما حتى بادرته السيدة العجوز بالسؤال عن مدى سعادة « المستر باوندرباى » بزواجه من السيدة الصغيرة .. وهل هى جميلة؟.. وهل تحبه وتوفر له أسباب السعادة .. ؟

وأجاب « ستيفن » على كل هذه الأسئلة بقدر ما يعرفه .. ثم قال بانكسار أن « مستر باوندرباى » قد طرده من العمل اعتبارًا من نهاية هذا

الأسبوع .. فحزنت السيدتان لدى سماعهما هذا الخبر ، ومع ذلك فقد دعاهما لتناول الشاى معه فى بيته .. أو بمعنى أصح وأدق فى حجرته الفقيرة التى تقع بأعلى المتجر الصغير الذى تمتلكه إحدى السيدات العجائز .

وبينما كانوا يتناولون الشاى وبعض قطع الخبز والزبد .. سمعوا ضجة عند بداية السلم ، وسمعوا صاحبة المتجر وهى تنطق باسم « باوندرباى ».. وعندئذ هبت المرأة الغريبة العجوز واقفة وطلبت من « ستيفن » و « راشيل » أن يسمحا لها بأن تختبىء فى أى مكان .. وأن ينكرا وجودها هنا .. !

ولكن عندما علمت أن القادمة هى « مسز باوندرباى » ومعها أخوها « توم » دون أن يكون معهما « المستر باوندرباى » بنفسه .. إطمأنت المرأة الغريبة العجوز وظلت جالسة فى مقعدها تتأمل باعجاب فى وجه السيدة الشابة الجميلة « لويزا باوندرباى » .. !

وقالت « مسز لويزا » أنها تأثرت كثيرًا بسبب الحديث الذى تم بين زوجها و « ستيفن » والذى انتهى بطرد « ستيفن » من العمل .. وسألته عما سيفعل لمواجهة تلك المشكلة .. خصوصًا وأن العمال لن يساعدوه فى محنته لأنه ليس عضوًا فى النقابة .. كما أن أصحاب المصانع الأخرى لن يقبلوه لأنه مطرود من المصنع الذى كان يعمل فيه ..

وأجابها « ستيفن بلاكبول » بأنه يشكرها على مشاعرها الطيبة ، وأنه سيغادر مدينة كوكتاون سيرًا على الأقدام .. ليبحث عن أى عمل فى أى مدينة أخرى قريبة أو بعيدة .

وعندئذ فتحت « لويزا » حقيبتها وأخرجت منها أربعة جنيهات قدمتها إليه على سبيل المساعدة .. فشكرها « ستيفن » وقال أنه سيأخذ جنيهين

فقط على سبيل القرض الحسن .. وأنه يعدها بأن يعيد إليها الجنيهين عندما يجد عملاً ..

وقامت « لويزا » متأهبة للانصراف .. ولكن أخاها « توم » رجاها أن تنتظر قليلاً لأنه يريد أن يتحدث مع « ستيفن » فى أمر هام .. وخرج « توم » مع « ستيفن » ليتحدثا على انفراد خارج الحجرة .. وقال « توم » :

ـ اسمع يا « ستيفن » .. إنى أريد أن أساعدك على إيجاد حل للمشكلة . وقد طرأت فى ذهنى فكرة أريدك أن تنفذها دون أن تسأل عن التفاصيل .. عليك أن تقف كل مساء أمام البنك لمدة ساعة أو نحو ذلك .. وخلال ثلاثة أو أربعة أيام ، سيتصل بك « بيتزر » حارس البنك وسيخبرك بما تم .. وعليك أن تدع « بيتزر » يراك .. وأن تدع « مسز سبارسيت » تراك أيضًا وهى تطل من نافذة مسكنها الكائن فوق البنك .. ولكن لا تجعل أيًا منهما يعرف أنك تراهما أو تنتظر منهما شيئًا .. !

وبعد انصراف « توم » وأخته « لويزا » قام « ستيفن » و « راشيل » بتوصيل المرأة العجوز الغريبة إلى الفندق الصغير الذى ستبيت فيه حتى موعد سفرها بقطار الصباح إلى بلدتها التى تعيش فيها .. وأخبرتهما العجوز الغريبة بأن اسمها « مسز بيجلر » وقد مات زوجها الطيب منذ سنتين .. وكان لها فيما مضى ولد صغير أخذ يعمل بجد واجتهاد حتى نجح .. ولكنها مع ذلك لا تريد أن تتكلم عنه أكثر من ذلك لأنها فقدته !

وظل « ستيفن » خلال تلك الأمسيات القليلة السابقة لسفره يقف أمام البنك حسب تعليمات « توم » .. وقد رآه « بيتزر » كما رأته « مسز سبارسيت» مرات كثيرة ، ولكن أحدًا منهما لم يخبره بشىء ..

وفى الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس .. بدأ « ستيفن » رحلته إلى المجهول .. وغادر كوكتاون سائرًا على قدميه فى الطرقات الخالية من الناس.. وعندما وصل إلى أعلى التل .. ألقى نظرة وداع أخير على المدينة التى قضى فيها عمره .. والتى عاش فيها أيام تعاسته وشقائه .. وسمع « ستيفن » زقزقة العصافير وتغريد الطيور وهى تستقبل اليوم الجديد .. وكأنها رسالة حب رقيقة .. من حبيبته « راشيل » !

[١٥]

كان « المستر هارتهاوس » يمتلك حصانًا يروح به ويغدو .. وكان يلقى بعض الخطب والمحاضرات ويحضر الاجتماعات التى تعقد بين حين وآخر فى مدينة كوكتاون .. أما أفضل أصدقائه فكانوا أفراد عائلة « المستر باوندرباى » .. خصوصًا « مسز لويزا » التى كان يفكر فيها كثيرًا .. كما بدأت هى فى الاهتمام به كاستجابة لجاذبيته الشخصية الشديدة ، بل وبدأت فى الاقتناع أيضًا ببعض أفكاره البوهيمية خصوصًا عندما كان يقول باستمرار : « إن ما قدر له أن يكون .. لابد سيكون » !

وكان « المستر باوندرباى » قد اشترى بيتًا فى الريف يبعد نحو خمسة عشر ميلاً عن « كوكتاون » .. وقد فضلت « مسز لويزا » أن تقيم فى هذا البيت الريفى طوال الصيف .. وكان « المستر باوندرباى » لا يحضر إلى هذا البيت إلا لمامًا أو فى أيام الآحاد .. وبالرغم من ذلك فقد دعا « المستر جيمس هارتهاوس » أن يقيم فى هذا البيت إذا كان يرغب فى ذلك وقتما يريد .. وبهذا ازدادات فرصة التقارب بين « مستر هارتهاوس » و « مسز لويزا » .

وكثيرًا ما كان الاثنان يجلسان فى أحد أركان الحديقة ويتجاذبان أطراف

الحديث .. وفى أحد تلك الأحاديث تناول « مستر هارتهاوس » أحوال أخيها « توم » .. وقال أنه شاب جاحد للجميل .. لأنه يعاملها بفظاظة وغلظة بالرغم من حبها له وعطفها عليه .. وقال لها أيضًا أن أخاها مبذر ويصرف أموالاً كثيرة على الخمر والقمار .. وأن هذا الطريق الذى يسير فيه قد يؤدى إلى وقوعه فى ورطة أو كارثة ..

تأثرت « مسز لويزا » بهذا الكلام .. واعترفت « لمستر هارتهاوس » بأنها تساعد أخاها باستمرار وتلبى جميع طلباته .. وأنها باعت بعض المجوهرات التى أهداها إليها زوجها « مستر باوندرباى » لكى تمده بالأموال التى يطلبها بين حين وآخر .. وأرجعت « لويزا » السبب فى أن أخاها « توم » كان يعاملها بفظاظة فى الفترة الأخيرة إلى أنه طلب منها مائتى جنيه ولم يكن معها هذا المبلغ .

وانقطع حديث « لويزا » و « جيمس » عندما ظهر أخوها « توم » قادمًا عبر الحديقة ، فقاما ليستقبلاه .. وتوجهوا جميعًا نحو البيت .. وعندما اقتربوا من باب البيت ، دخلت « لويزا » بينما ربت « جيمس » على كتف « توم » وقال له هامسًا أنه يريد أن يتحدث معه على انفراد .

وأظهر « جيمس » فهمه للمشاكل التى يعانيها « توم » .. وأبدى استعداده لمساعدته .. إلا أن « توم » اعترف له بأنه واقع بالفعل فى مشاكل عدة .. وأنه استاء من امتناع أخته عن اعطائه بعض النقود التى يمكن أن تحصل عليها من زوجها ، الأمر الذى أدى إلى زيادة مشاكله وتورطه فيها ..

ومع ذلك فقد أقنع « جيمس » هذا الشاب الفظ بأن يذهب إلى أخته ويعتذر لها ويطلب منها أن تسامحه .. وعندما تم ذلك ، ابتسمت « لويزا »

ابتسامة عذبة راضية .. وشكرت « جيمس » عما قام به نحوها ونحو أخيها .

[١٦]

وفى مساء أحد الأيام وصل « مستر باوندرباى » إلى البيت الريفى، وكانت فى صحبته « مسز سبارسيت » .. وكان « مستر جيمس هارتهاوس » قد عاد لتوه من اجتماع ألقى فيه إحدى خطبه .. وعلى الفور أخبره « المستر باوندرباى » ببعض الأخبار السيئة .. فقد تعرض البنك للسرقة .. حيث فتح اللصوص الباب الرئيسى بمفتاح مصطنع .. ثم اقتحموا مكتب « توم » وكسروا الخزانة وسرقوا ما كان فيها من نقود .. وهو مبلغ يزيد قليلاً عن مائة وخمسين جنيهًا ..

وقال « مستر باوندرباى » أيضًا أن اللصوص كان فى إمكانهم أن يستولوا على آلاف الجنيهات ، ولكن يبدو أن شيئًا ما قد حال دون ذلك .. وقال أيضًا أنه يشك فى شخص واحد من « الأيدى » العاملة .. وهو « ستيفن بلاكبول » .. حيث شاهده « بيتزر » كما شاهدته « مسز سبارسيت » وهو يراقب البنك لعدة أمسيات متعاقبة .. ثم فر بعد ذلك من مدينة كوكتاون واختفى ..

وقال أيضًا أنه يشك كذلك فى امرأة عجوز غريبة رآها الناس وهى تراقب البيت والبنك والمصنع .. كما شاهدوها فى مرة بصحبة « ستيفن بلاكبول » .. ثم أشار إلى أن « توم » سيتأخر فى الحضور هذه الليلة ، لأنه ما زال موجودًا بالبنك ، لمساعدة رجال الشرطة فى بحث ظروف الحادث ، حتى يمكنهم الوصول إلى اللص الحقيقى الذى ارتكب هذه الجريمة .

وكانت « مسز لويزا » قد انزعجت كثيرًا لدى سماعها لكل تلك الأخبار السيئة .. بل لقد شحب لون وجهها واستغرقت فى أفكار وشكوك محزنة ..

وعندما وصل أخوها « توم » متأخرًا فى تلك الليلة .. حادثته عن شكوكها بالتلميح إلى أن « ستيفن بلاكبول » لا يمكن أن يكون اللص الذى سرق البنك .. لأنه رجل شريف .. وذكرته بما حدث عندما ذهبا لزيارته فى حجرته الفقيرة لمساعدته فى مواجهة محنة طرده من العمل .. وذكرته أيضًا أن « ستيفن بلاكبول » رفض أن يأخذ الجنيهات الأربعة التى قدمتها إليه على سبيل المساعدة .. وأخذ جنيهين فقط على سبيل القرض ، على أن يردهما إليها فور حصوله على عمل جديد فى مدينة أخرى .. وأن رجلاً يتصرف بهذا القدر من الكرامة لا يمكن أن يكون لصًا .

وفى النهاية سألت « مسز لويزا » أخاها « توم » عما دار بينه وبين « ستيفن بلاكبول » خارج الحجرة فى تلك الليلة .. فقال « توم » أنه كان ينصحه ببعض الكلمات التى تطيب خاطره ..

وعندما انصرفت « لويزا » عائدة إلى حجرتها .. أغلق « توم » باب حجرة نومه ، وانفجر باكيًا .. !

[١٧]

لم تشعر « مسز لويزا » بأى قدر من الغيرة ، حين كانت ترى « مسز سبارسيت » وهى تبذل كل ما فى وسعها فى خدمة « المستر باوندرباى » ورعايته والتعاطف معه .. فهى التى كانت تقدم إليه وجبات طعامه وتنظف ملابسه وتساعده على ارتدائها وتناوله قبعته حين يغادر البيت متوجهًا إلى

عمله .. بل وكانت تقبل يده وهى تقول له هامسة : يا لك من انسان عطوف يا سيدى ! .. ولكن ما أن يخرج من عتبة باب البيت حتى كانت تقول فى سرها ومن وراء ظهره : يا لك من وغد ! .. إنك تستحق فعلاً هذه الزوجة التى لا تحبك ولا تشعر بوجودك !

وفى الوقت الذى كانت فيه « مسز سبارسيت » تزداد قربًا من « مستر باوندرباى » كانت « مسز لويزا » تزداد قربًا من « مستر جيمس هارتهاوس»..

وفى صباح أحد الأيام وصل « بيتزر » إلى البيت الريفى ليخبر « مسز لويزا » بأن أمها « مسز جرادجريند » تحتضر وتطلب رؤيتها . وعلى الفور شدت الرحال إلى كوكتاون .. وعندما اقتربت « مسز لويزا » من « ستون لودج » .. بيت أبيها القديم الذى تربت فيه على الحقائق الواقعية والذى لم تذق فيه يومًا طعم الحب ولا شعرت بمشاعره وأحاسيسه .. دارت فى رأسها دوامة الذكريات القديمة ..

ولاحظت « مسز لويزا » بسهولة أن جوًا جديدًا قد شمل البيت بأكمله.. وأن مشاعر الحب والتعاطف متبادلة بوضوح بين أمها المحتضرة وأخواتها الصغار و « سيسى جوب » .. وأوعزت « لويزا » كل ذلك التغيير إلى وجـود « سيسى جوب » التى أشاعت فى البيت كل هذه المشاعر النبيلة .

وكانت آخر كلمات أمها هى الثناء على « سيسى جوب » التى علمتهم أشياء أخرى غير الحقائق الواقعية التى علمها « المستر جرادجريند » لأولاده.

ونظرًا لأن « مسز سبارسيت » ظلت مقيمة مع أسرة « المستر باوندرباى »

فى البيت الريفى ، فقد لاحظت النمو السريع لمشاعر التقارب والتعاطف التى تربط بين « مسز لويزا » و « مستر هارتهاوس » .. بل وأصبحت تعتقد عن يقين ، أن « مسز لويزا » على وشك السقوط فى حفرة العار .

وفى عصر أحد الأيام ، شاهدتهما « مسز سبارسيت » وهما جالسين فى الحديقة ، وكان وجه « مستر هارتهاوس » شديد القرب بل ويكاد يلامس شعر « مسز لويزا » .. وكانا يتبادلان حديثًا لم تسمع منه كلمة واحدة ..

ولكن الحديث لم يكن حديث عشق وغرام ، بل كان يتناول علاقة العامل « ستيفن بلاكبول » بسرقة البنك .. فقد دافعت « لويزا » عنه وأصرت على أنه رجل شريف ولا يمكن أن يقدم على ارتكاب مثل هذه الجريمة ، بينما كان « جيمس هارتهاوس » يذكر الأسباب الواضحة التى أدت إلى الشك فيه .

وعندما انتهيا من هذا الحديث قاما ليتمشيا فى أركان الحديقة وقد وضعت « لويزا » ذراعها فى ذراع « جيمس » .. وبدأ بينهما حديث الغرام .. فقد اعترف « جيمس » بحبه لها .. وحثها على الذهاب معه أو الالتقاء به فى مكان آخر .. وعندئذ شعرت « مسز سبارسيت » التى كانت تراقبهما خفية ، بأن « مسز لويزا » ستسقط فورًا إلى قاع حفرة العار التى تخيلتها .

ولكن « مسز سبارسيت » لاحظت أن « جيمس » قد انطلق بحصانه ، بينما توجهت « مسز لويزا » إلى البيت لترتدى ملابس الخروج .. وهكذا تأكدت « مسز سبارسيت » من أن العاشقين قد اتفقا على موعد للقاء فى مكان آخر .. وبالتالى فقد أصرت على أن تتبع خطوات « لويزا » لتعرف مكان اللقاء ..

وتوجهت « لويزا » إلى محطة القطار ، وذهبت إلى بيت أبيها .. وهناك قابلته وبدأت معه حديثًا صريحًا لأول مرة ... فقد قالت لأبيها أنه علمها حقائق الواقع فقط ولم يعلمها العواطف الانسانية .. وأنه هو الذى دبر أمر زواجها من « مستر باوندرباى » بالرغم من اعترافها بأنها لا تحبه .. وأنها قبلت هذا الزواج لأن فيه مصلحة لأخيها « توم » .. « توم » المسكين الذى تربى هو الآخر على الحقائق الواقعية التى لم تعصمه من الوقوع فى الخطأ ..

واعترفت « لويزا » لأبيها بأنها اتخذت صديقًا يختلف عن كل رجل عرفته فى حياتها .. لأنه طيب القلب وخبير بالحياة .. وقد اعترف لها بحبه كما أنها تميل إليه فعلاً ، بالرغم من أنها لم ترتكب معه أى خطأ .. ولذلك فقد طلبت من أبيها أن ينقذها بأية طريقة ممكنة .. وتهاوت ساقطة على الأرض قرب قدمى أبيها الذى شاهد كبرياءه وحقائقه الموضوعية وقد انهارت !

[١٨]

وفى صباح اليوم التالى ، وجدت « لويزا » نفسها راقدة على سريرها فى حجرتها القديمة فى « ستون لودج » .. وما أن فتحت عينيها حتى وجدت أختها الصغيرة « جين » بالقرب منها .. كانت فتاة رقيقة حلوة الكلمات وتفيض مشاعرها بالعطف والحنان على أختها « لويزا » ..

ثم دخل الأب « مستر جرادجريند » ليلقى إلى « لويزا » تحية الصباح .. وبكلمات رقيقة وبصوت حنون .. اعترف الأب لابنته بأنه كان يظن أن تربية الأبناء على الحقائق الواقعية هى التربية الصحيحة .. كما اعترف أيضًا بأن طريقة « سيسى جوب » فى إشاعة الحب ومشاعر التعاطف الانسانى فى هذا البيت ، أسلم من طريقته .. ولذلك فإنه يعتذر عما سببه لها من أحزان .

وبعد انصراف الأب من حجرة « لويزا » دخلت إليها « سيسى جوب».. ولاحظت « لويزا » على الفور ، أن « سيسى » قد ازدادت جمالاً ورقة ، وأن كل مشاعر الحب والتعاطف تتلألأ كألوان الشفق فى نظرات عينيها ..

وأمام كل هذا العطف الذى لمسته « لويزا » من جانب « سيسى » لم تجد أمامها إلاّ أن تعتذر بصدق عن كل ما كان قد بدر منها من معاملة سيئة .. وطلبت من « سيسى » أن تصفح عنها .. وأن تفسح لها مكانًا بداخل قلبها الكبير المملوء بالحب والتعاطف والحنان .. وطلبت منها أن تكون محل ثقتها.. وأن تساعدها حتى تجاوز ما هى فيه من شقاء وتعاسة .

وكان « المستر جيمس هارتهاوس » ينتظر « مسز لويزا » فى فندق المدينة منذ أمس .. وعندما لم تحضر حسب الموعد الذى اتفقا عليه ، استنتج أن السبب فى عدم حضورها قد يرجع إلى أن أحدًا قد عرف سر العلاقة التى تربطه بها ..

ومع ذلك فقد واصل الانتظار فى الفندق على أمل حضور « لويزا » للقائه .. ولكن « لويزا » لم تحضر .. وحضرت بدلاً منها « سيسى جوب » .. التى طلبت منه أن يتخلى تمامًا عن الأمل فى حضور « لويزا » إليه .. وأن الشرف يحتم عليه أن يقوم بهذه التضحية .. وتوسلت إليه أن يغادر مدينة كوكتاون إلى غير رجعة .. وأن يفقد الأمل فى أية علاقة مستقبلة بينه وبين «مسز لويزا باوندرباى » .

وما أن انصرفت « سيسى جوب » حتى تهاوى « جيمس » على أحد المقاعد وهو يقول لنفسه : هذا صحيح .. ويجب أن ينتهى كل شىء .. ثم قام على الفور بكتابة رسالة قصيرة إلى أخيه قال فيها أنه مل الحياة فى كوكتاون وقرر أن يسافر إلى مصر .. !

[١٩]

كانت « مسز سبارسيت » قد سافرت إلى لندن ، وذهبت إلى الفندق الذى يقيم فيه « مستر باوندرباى » وأخبرته فى شماتة بأن زوجته قد هربت مع « جيمس هارتهاوس » .. وبالطبع فقد عاد الاثنان فورًا إلى كوكتاون لبحث الأمر مع « مستر جرادجريند » .. وهناك تبين لهما أن « مسز لويزا » لم تهرب ، بل سقطت مريضة لشدة ما تعانيه من تعاسة .. وهكذا خاب ظـن « مسز سبارسيت » وانصرفت وهى تبكى من شدة الخجل .

وقال « مستر باوندرباى » أنه على يقين بأن « لويزا » كانت على علاقة ما « بجيمس هارتهاوس » .. ورد عليه « مستر جرادجريند » بأن ابنته سيدة شريفة ولم تخطىء .. وأنه هو الذى أخطأ بتزويجها له بالرغم من فارق السن الكبير بينهما ..

وانصرف « مستر باوندرباى » غاضبًا ، وعاد إلى بيته وأمر الخدم بأن يجمعوا ملابس « لويزا » وكل متعلقاتها وأن يرسلوها إلى بيت أبيها .. كما عرض بيته الريفى للبيع .

وكانت عملية البحث عن « ستيفن بلاكبول » مستمرة .. وأعلن « مستر باوندرباى » عن مكافأة قدرها عشرين جنيهًا لمن يعرف المكان الذى اختفى فيه هذا اللص الذى سرق بنكه ..

ولما كانت « راشيل » على يقين بأن « ستيفن » برىء من هذه التهمة ، فقد ذهبت إلى بيت « المستر باوندرباى » وأخبرته بأمر الزيارة التى قامت بها « مسز لويزا » وأخوها « توم » للحجرة التى كان يقيم فيها « ستيفن بلاكبول» بعد طرده من العمل .. ومحاولة « مسز لويزا » مساعدته بأربعة

جنيهات ولكنه لم يأخذ سوى جنيهين اثنين .. وأبدت « راشيل » استعدادها لمواجهة « مسز لويزا » وأخيها ليؤكدا ما حدث فى تلك الزيارة .

وهكذا توجه « مستر باوندرباى » إلى بيت « مستر جرادجريند » مصطحبًا معه كلاً من « راشيل » و « توم » .. وهناك اعترفت « مسز لويزا » بصحة وصدق كل ما قالته « راشيل » عن تلك الزيارة .. وأكدت أن « ستيفن بلاكبول » رجل شريف ولا يمكن أن يكون هو اللص الذى سرق البنك .. وعندئذ قالت « راشيل » أن « ستيفن » سيحضر بنفسه فى ظرف يومين ليثبت براءته أمام الجميع .

وطوال هذا الحديث ، كان « توم » فى غاية الاضطراب ، وظل يقضم أظافر أصابعه ولم ينطق بكلمة واحدة .. وقد لاحظت « سيسى جوب » مدى قلقه واضطرابه ، فنظرت إليه نظرة عطف ورثاء ..

وإذا كان « ستيفن بلاكبول » رجلاً شريفًا كما قيل .. فمن ذا الذى يا ترى سرق البنك .. ؟ !

[٢٠]

مرت عدة أيام دون أن يظهر « لستيفن بلاكبول » أى أثر .. ولكن ذات مساء استطاعت « مسز سبارسيت » أن تقبض على المرأة العجوز الغريبة « مسز بيجلر » وأمسكت بتلابيبها وأدخلتها عنوة إلى بيت « مستر باوندرباى » حيث كان الجميع متجمعين هناك .. وقالت بفخر زاعق لتنبيه سيدها إلى ما فعلته : ها هى يا سيدى المرأة العجوز الغريبة شريكة اللص « ستيفن بلاكبول » !

صعق « مستر باوندرباى » عندما شاهد المرأة العجوز فى هذا الوضع ..

فهى أمه التى يدعى أنها ألقت به فى الشوارع وفرت هاربة .. وقالت المرأة العجوز : أرجوك يا بنى أن تشرح لهذه السيدة أنى لا يمكن أن أقذف بك إلى الشارع كما يقول الناس .. بل أنا التى ربيتك بعد أن مات أبوك وكافحت من أجلك .

وعندئذ أدرك الجميع أن « مستر باوندرباى » دعى كذاب .. وانهارت تلك الحكاية الملفقة التى يدعى فيها أنه خرج من الشوارع وبنى نفسه بنفسه حتى وصل إلى النجاح والثراء ..

وخلال تلك الأيام توطدت أواصر الصداقة بين « راشيل » و « سيسى جوب » حيث جمعت بينهما مشاعر الطيبة والحب والعطف على الآخرين .. وكثيرًا ما كانت الصديقتان تخرجان للنزهة وتتجاذبان أطراف أحاديث عدة.. وفى إحدى المرات ، وبينما كانتا تسيران فى الطريق الريفى بأطراف مدينة كوكتاون ، عثرتا على قبعة مستعملة مكتوب عليها اسم « ستيفن بلاكبول » .. وكانت القبعة ملقاة جوار حفرة عميقة .

كان من الواضح أن « ستيفن » قد سقط فى تلك الحفرة التى لا يستطيع الخروج منها .. وأخذت « راشيل » تصيح وتولول منادية على « ستيفن » ولكن دون جدوى .. وعندئذ قررت « سيسى جوب » أن تطلب مساعدة بعض الرجال الذين استطاعوا بواسطة الحبال أن يخرجوا « ستيفن » من قاع الحفرة .. وكان لم يزل حيًا ولكنه عاجز عن الكلام !

وكانت « سيسى جوب » قد استدعت طبيبًا جاء فى صحبة « مسز لويزا» وأخيها وأبيها .. وكان معهم أيضًا « المستر باوندرباى » .. وقام الطبيب على الفور بعمل الاسعافات اللازمة وأعطى « ستيفن » دواء قويًا جعله يستطيع الكلام ولكن بصعوبة بالغة .

وقال « ستيفن » بصوت واهن أنه سقط فى تلك الحفرة عندما كان فى طريقه إلى كوكتاون ليثبت براءته من تهمة السرقة .. ثم شكر « مسز لويزا » على عطفها عليه وطلب منها أن تنادى على أبيها لأنه يريد أن يحدثه فى أمر هام .. وانصت « مستر جرادجريند » بذهول إلى تلك الكلمات القليلة التى نطقها « ستيفن بلاكبول » بصوت ضعيف كالهمس : « إن ابنك يا سيدى هو الوحيد الذى يعرف لماذا كنت أنتظر قرب البنك مساء كل يوم » .

وأمسك « ستيفن » بيد « راشيل » الدافئة وقال هامسًا : « شكرًا لك يا راشيل .. لقد وهبك الله القدرة على الحب والتعاطف مع الآخرين » .. !

وكانت هذه آخر كلماته .. !

[٢١]

ومنذ تلك الليلة ، اختفى « توم » من مدينة كوكتاون وذهب إلى مدينة « ليفربول » التى تبعد نحو ثلاثين ميلاً .. وكان يحمل معه رسالة كتبتها « سيسى جوب » إلى « المستر سليرى » صاحب السيرك الذى يعرض ألعابه فى تلك المدينة .. وما أن قرأ « المستر سليرى » تلك الرسالة حتى تفهم الموضوع .. وعلى الفور أعطى « لتوم » ملابس مهرج فى السيرك ، وجعله يطلى وجهه بألوان بيضاء وحمراء وسوداء .. وبهذا أصبح من الصعب أن يتعرف عليه أحد .

وبعد يومين وصل « مستر جراجريند » ومعه ابنته « لويزا » و « سيسى جوب » حيث قابلوا « مستر سليرى » وشرحوا له خطة تهريب « توم » إلى أمريكا على السفينة التى ستغادر « ليفربول » هذه الليلة .. وقال « مستر سليرى » أن « مستر جرادجريند » قد ساعد « سيسى جوب » وتبناها .. وأن

عليه الآن أن يرد الجميل ويساعد ابنه « توم » فى تلك المحنة .

وهمس « مستر سليرى » فى أذن « المستر جرادجريند » بأنه قد عرف بأن والد « سيسى » قد مات منذ زمن طويل ولكنه لا يعرف كيف مات ولا أين دفن .. وقال أن الكلب « ميرى ليجز » الذى كان لا يفارق « جوب » أبدًا .. عاد إلى السيرك منهكًا ويبدو عليه أنه سار مسافات طويلة .. وقد لاحظ على الفور أن الكلب فقد بصره ولم يلبث أن مات هو الآخر .. فطلب منه « مستر جرادجريند » أن يحتفظ بخبر وفاة والد « سيسى » ولا يخبرها به .. حتى تظل على أمل فى عودة أبيها فى يوم ما .. والأمل يجعلها أكثر سعادة ..

وكان قلب « مستر جرادجريند » يكاد أن ينفطر حزنًا وهو يحادث ابنه « توم » الذى كان يرتدى ملابس المهرجين ودهن وجهه بالأصباغ .. وحين سأله عن السبب فى ارتكابه جريمة سرقة البنك .. انهار الابن وقال أن أباه هو السبب فى كل ما حدث .. لأنه رباه على الحقائق الواقعية الجافة .. وذكّر أباه بقوله الذى كان يقوله دائمًا : « إذا اشتغل خمسون رجلاً فى بنك فلابد أن أحدهم سيسرق بعض أموال البنك فى يوم ما » .. باعتبار أن ذلك من حقائق الواقع .

وانتهى هذه الحديث الحزين بين الأب وابنه باعلان الأب أنه قد سامح ابنه وصفح عنه ويطلب من الله أن يسامحه ويغفر له .. كما أعطاه بعض المال وتذكرة السفر إلى أمريكا .. ودعا له بالتوفيق فى حياته المستقبلة .

وبعد نجاح « مستر سليرى » فى توصيل « توم » إلى السفينة التى كانت على أهبة السفر ومغادرة « ليفربول » فى طريقها إلى أمريكا .. أقام « المستر

جرادجريند » حفلة كرم فيها كل رجال السيرك .. وكانت « سيسى جوب » أكثر الجميع سعادة .. لرؤيتها الأصدقاء القدامى من زملاء أبيها ..

● ● ●

والآن .. لنعرف ماذا حدث بعد ذلك لكل أبطال القصة ..

طرد « مستر باوندرباى » « مسز سبارسيت » من خدمته .. وشتمته قبل أن ترحل .. وبعد خمس سنوات ، وبينما كان يعبر الشارع فى طريقه إلى البنك، انفجر شىء فى داخله وسقط ميتًا فى عرض الطريق ..

كما أصيب « توم » بالحمى .. ومات فى إحدى مستشفيات أمريكا ..

أما « المستر جرادجريند » فقد تغير كثيرًا وأصبح قلبه عامرًا بالحب والمشاعر الانسانية التى حلت محل الأرقام الجامدة وحقائق الواقع الجافة .. كما نشر خطابًا عامًا أعلن فيه براءة « ستيفن بلاكبول » .. وأن ابنه « توم » هو الذى ارتكب جريمة سرقة البنك .

وعاشت «لويزا » حياة هادئة هانئة .. ولكنها لم تتزوج بعد موت زوجها.. وتوطدت أواصر الصداقة بينها وبين « راشيل » التى تتمتع بطيبة وحنان لا حد لهما .

أما « سيسى جوب » فقد تزوجت وأنجبت أطفالاً .. وكان بيتها يفيض بالسعادة والجمال فى كل ركن فيه .. حيث علقت اللوحات الجميلة على الجدران .. وازدانت الموائد بباقات الزهور الملونة ذات الرائحة العطرة .. كما امتلأت المكتبة بالكتب التى تتضمن قصصًا وروايات خيالية رائعة ..

كان بيت « سيسى » هو أفضل مكان يقصده « مستر جرادجريند » أو تقصده « لويزا » حين يريد أى منهما أن يستمتع بكل هذه الروعة .. !

وليم شيكسبير



KING LEAR

BY : WILLIAM SHAKESPEARE

كان الملك لير ملكًا على بريطانيا .. وكانت له ثلاث بنات : البنت الكبرى « جونريل » متزوجة من « دوق ألبانى » .. والبنت الوسطى « ريجان» متزوجة من « دوق كورنوول » ، أما البنت الصغرى « كورديليا » فقد كانت غير متزوجة ، وتقدم إلى خطبتها كل من ملك فرنسا ، ودوق برجاندى ، اللذين كانا موجودين بقصر الملك لير عندما بدأت أحداث تلك المسرحية .

كان الملك لير وقتئذ عجوزًا تجاوز الأعوام الثمانين .. وشعر بأن الوقت قد حان ليتخفف من أعباء حكم مملكته ، لذلك فقد قرر أن يقسم المملكة بين بناته الثلاث ، على أن يتحدد نصيب كل منهن بحسب ما تقوله من كلمات تعبر عن مدى حبها لأبيها .

وهكذا استدعى الملك لير بناته الثلاث وطلب من كل واحدة منهن أن تعبر عن مدى حبها له ..

ولأن البنت الكبرى « جونريل » كانت على قدر كبير من المكر والدهاء والقدرة على تنميق الكلمات ، فقد قالت أنها تحب أباها بما تعجز الكلمات عن وصفه ، وأن أباها أعز من عينيها وحريتها وحياتها كلها .. وأعجب الملك لير بكلام ابنته الكبرى فوهبها هى وزوجها دوق ألبانى ثلث مملكته .

وكانت البنت الوسطى « ريجان » لا تقل عن أختها مكرًا ودهاء وقدرة

على تزويق الكلام ، فقالت إن كل متع الدنيا لا تقارن بالسعادة التى تحسها بسبب حبها لأبيها .. وأعجب الملك لير بكلام ابنته الوسطى ، فوهبها هى وزوجها دوق كورنوول الثلث الثانى من مملكته .

وكانت البنت الصغرى « كورديليا » تدرك مدى الزيف فى كلمات كل من أختيها .. وتعرف أن كل واحدة منهما قالت كلماتها المنمقة والمزوقة رغبة فى الحصول على أكبر جزء من مملكة أبيها .. ولذلك فقد آثرت هى أن يكون حبها لأبيها صامتًا وصادقًا فى نفس الوقت ، وقالت إنها تحب أباها طبقًا للأصول الواجبة باعتبارها إبنته .

بهت الملك لير عندما سمع تلك الكلمات الجافة من الإبنة الصغرى « كورديليا » .. فقد كان يتوقع أن تكون كلمات هذه الإبنة الأثيرة لديه أكثر رقة وأجمل تعبيرًا من الكلمات التى قالتها كل من أختيها ..

وعندما طلب منها الملك أن تهذب حديثها وتختار كلمات أخرى رقيقة وجميلة ، قالت « كورديليا » إنها تحب والدها الذى أنجبها وأحسن تربيتها وعلمها الطاعة والصدق .. ولذلك فهى لا تستطيع أن تقول مثل أختيها بأنها لا تحب أحدًا غيره فى هذا العالم ، لأن معنى ذلك أنها ستقصر حبها على أبيها وحده ولن تحب أحدًا سواه ولو كان زوجها وأبناءها ..

ولأن الملك لير كان عجوزًا هرمًا ، فقد أفقده كبر السن قدرته على التمييز السليم بين الكلام الصادق الذى يخرج من القلب ، والكلام الزائف الذى قد ينطق به اللسان . لذلك فقد اعتقد أن ابنته كورديليا تتكبر عليه ، فغضب غضبًا شديدًا ، وقرر أن يحرمها من الحصول على أى جزء من مملكته .. بل وأعطى الثلث الباقى من المملكة مناصفة بين الأختين جونريل وزوجها دوق ألبانى وريجان وزوجها دوق كورنوول .



وجمع الملك كل رجال الدولة الذين كانوا موجودين بالقصر ، وتنازل أمامهم عن تاجه لإبنتيه الكبرى والوسطى ، كما تنازل لهما عن جميع سلطاته فى الحكم ، على أن يحتفظ لنفسه فقط بلقب الملك ، وبحقه فى أن يقيم طوال حياته لمدة شهر بالتناوب فى قصر كل من إبنتيه ومعه مائة من فرسانه .

أصيب النبلاء ورجال القصر بدهشة شديدة من تصرف الملك على هذا النحو الخاطىء وغير العاقل .. وحزنوا كثيرًا لمصير الإبنة الصغرى كورديليا التى كانت أكثر صدقًا من أختيها ، ومع ذلك فقد كان عليها أن تواجه هذا المصير التعس .. ولكن أحدًا من هؤلاء النبلاء لم يستطع أن يعترض على تصرف الملك فلزموا الصمت ولم ينطقوا بكلمة .. فيما عدا النبيل « إيرل كنت » الذى كان أكثر النبلاء إخلاصًا للملك ، فقد تجرأ ونطق ببعض كلمات طيبة فى صالح كورديليا ، فغضب منه الملك وطلب منه أن يسكت وإلا فسوف يأمر بإعدامه .

لم يهتم « إيرل كنت » بتهديد الملك فواصل كلامه الطيب فى نصح الملك الذى استشاط غضبًا وأمر بطرد « إيرل كنت » من القصر وبنفيه من البلاد كلها ، وأعطاه خمسة أيام ليرحل ، وإذا بقى فى المملكة حتى اليوم السادس سينفذ فيه حكم الإعدام .

أما كورديليا فقد أصبحت الآن لا تملك شيئًا سوى نفسها .. فتراجع دوق برجاندى عن طلب يدها للزواج .. ولكن ملك فرنسا لمس من تصرف هذه الإبنة الطيبة مع أبيها أنها مخلصة وصادقة ومن معدن نفيس طيب .. لذلك فقد أصر على طلب يدها لتصبح زوجته وتصبح بالتالى ملكة على فرنسا ..

وودعت كورديليا أباها وأختيها ، وطلبت منهما أن تكونا رحيمتين بأبيهما، وأن تعاملاه معاملة حسنة .. وهكذا رحلت كورديليا إلى فرنسا وقلبها مفعم بالحزن على أبيها وعلى المصير الذى تتوقعه من جانب أختيها المخادعتين .

● ● ●

وبدأ الملك لير إقامته لمدة شهر فى قصر إبنته الكبرى جونريل ، على أن يقيم فى الشهر التالى فى قصر إبنته الوسطى ريجان .. ثم يعود للإقامة فى قصر جونريل لمدة شهر وهكذا ..

ولكن قبل أن ينقضى الشهر الأول الذى قضاه الملك لير فى قصر إبنته الكبرى ، بدأ يكتشف الفرق الهائل بين الواقع المرير والوعود الزائفة التى قطعتها الإبنة على نفسها حين أعلنت قبول إقامة الملك فى قصرها ومعه فرسانه المائة .

لقد ضاقت الإبنة الجحودة بأبيها وفرسانه ، بل طلبت من خدم القصر أن يتغافلوا عن تلبية طلباته وأن يتظاهروا بعدم سماعه .

وكان النبيل المخلص « إيرل كنت » قد قرر البقاء فى بريطانيا متخفيًا ليظل فى خدمة مليكه .. فخلع ملابسه الفاخرة وارتدى ملابس الخدم ، وانتحل لنفسه إسمًا جديدًا هو « كايوس » .. والتحق بخدمة الملك لير ليكون بقربه بصفة دائمة ..

ولاحظ « كايوس » أن أحد الخدم ـ بإيعاز من جونريل نفسها ـ قد عامل الملك بطريقة خالية من الاحترام الواجب ، فقام كايوس على الفور بضرب هذا الخادم غير المؤدب وطرحه أرضًا .. وهكذا حاز الخادم كايوس [وهو فى الوقت نفسه إيرل كنت المتخفى] ثقة الملك لير وحبه .

وعلى عادة الملوك فى ذلك الزمن ، كان الملك لير يحتفظ بمهرج ليضحكه.. وكثيرًا ما كان هذا المهرج يقول كلمات مرحة يسخر فيها من حماقة الملك حين قسّم مملكته إلى قسمين أعطاهما لابنتين جاحدتين ..

وأخيرًا جاءت اللحظة التى فهم فيها الملك لير أسباب ودوافع المعاملة السيئة التى كانت تعامله بها إبنته ، فقد أعلنت جونريل بكل وضوح وبكل تذمر أنها أصبحت لا تطيق أباها الذى أصبح مخرفًا .. ولا تطيق فرسانه المائة الذين يملأون القصر بالضجيج ولا يفعلون شيئًا سوى أكل الطعام .. كما قالت إنها لا تستطيع أن تتحمل تكاليف كل هؤلاء الفرسان ، وأنه من الأفضل للملك أن يطردهم جميعًا وأن يحتفظ فقط ببعض كبار السن منهم .

صدم الملك عندما سمع هذا الكلام البغيض .. وأحس بمدى عقوق إبنته جونريل ، فأخذ يلعنها ويدعو الله أن يحرمها من إنجاب الأطفال ، أو أن تنجب إبنة تذيقها كأس الهوان ، لتحس بالعذاب الذى يحسه الآباء من عقوق الأبناء .. لأن الإبن العاق يسبب ألمًا لوالديه أقسى من لدغة الثعبان..

وقرر الملك لير أن يغادر قصر إبنته جونريل ومعه فرسانه ليذهب ويقيم بقصر إبنته الثانية ريجان .. وأرسل خادمه كايوس برسالة إلى ريجان يطلب منها أن تستعد لاستقباله .

ولكن الإبنة جونريل أرسلت رسالة أخرى إلى أختها تطلب منها ألا تستقبل أباها ومعه كل هؤلاء الفرسان والأتباع .. وكان الخادم الذى يحمل هذه الرسالة ، هو نفسه الخادم الذى ضربه كايوس وطرحه أرضاً .. لذلك فقد ارتاب كايوس فى أمر هذا الرسول وأمر الرسالة التى يحملها ، وذلك

حين قابله مصادفة بالقرب من قصر ريجان ، فوجه إليه كلامًا عنيفًا أهانه فيه، وطلب منه أن يبارزه ، ولكن الخادم رفض ، فاضطر كايوس إلى أن يوسعه ضربًا ..

وصل أمر هذا الشجار الذى حدث بين رسول جونريل ورسول الملك إلى أسماع ريجان وزوجها دوق كورنوول ، فأمرا على الفور بالقبض على كايوس رسول الملك وشده إلى آلة التعذيب الرهيبة ..

وحين وصل الملك لير وفرسانه إلى قصر ريجان ، وشاهد خادمه كايوس مشدودًا إلى آلة التعذيب ، إمتلأ قلبه بالحزن والخوف .. وعندما طلب مقابلة إبنته وزوجها ، أخبره الخدم بأنهما متعبان ولن يستطيعا مقابلته ، فغضب الملك غضبًا شديدًا ، وأخذ يصيح صيحات يائسة تعبر عن كل ما كان يحسه من هوان ومرارة .

وأخيرًا جاءت إبنته ريجان لتحيته ، ولكنها كانت تتأبط ذراع أختها كونريل ، التى كانت قد وصلت لتحرض ريجان ضد أبيهما وضد احتفاظه بالفرسان المائة .. ولذلك فقد تحطم قلب الملك لير وطار صواب عقله حين رأى إبنتيه العاقتين تتباريان فى القسوة عليه .

وهاج الملك وماج ، ورفع ذراعيه الهزيلتين مهددًا ولاعنًا .. وفجأة أظلمت السماء وهبت الرياح وبرق البرق ودوّى صوت الرعد فى الآفاق .. وعندئذ كان الملك لير قد فقد صوابه وأعلن أنه يريد أن يخرج ليواجه أخطار الطبيعة الغاضبة باعتبار أن ذلك أفضل عنده من البقاء تحت سقف واحد مع إبنتيه .. واندفع الملك إلى الخارج وأغلقت الإبنتان باب القصر من ورائه..

كانت العاصفة تزداد سوءًا كلما توغل الملك لير فى الطريق ، واشتد هطول المطر واشتدت حدة هبوب الرياح ، وامتدت الأرض الفضاء أمامه كما لو كانت بلا نهاية .. وأخذ الملك يصرخ فى غضب مجنون بأعلى صوته خلال ومضات البرق وأصوات الرعد .. ويطلب من الرياح أن تشتد أكثر وأكثر لتلقى بالأرض ومن عليها إلى داخل البحر .. أو لتجعل أمواج البحر تعلو وتعلو حتى تغرق الأرض وتطيح بمن عليها من بشر غارقين فى أطماعهم وناكرين للجميل .

لم يكن الملك وحده فى تلك الليلة العاصفة ، كان معه المهرج الذى أخذ يسخر من الطبيعة ومن الملك نفسه ، ويطلب منه أن يعود إلى إبنتيه ذليلاً ليطلب منهما الصفح .

وكان النبيل المخلص إيرل كنت المتنكر فى هيئة الخادم كايوس قد خرج هو أيضًا فى العاصفة ليبحث عن سيده الملك العجوز لينقذه من تلك العاصفة المدمرة .. وعندما عثر عليه كان الملك فى ذروة جنونه وصراخه .. وعبثًا حاول كايوس أن يقنع الملك بالدخول إلى كوخ فقير ليحتمى فيه من غضبة الطبيعة .. إلى أن قبل الملك فى النهاية .

وبداخل الكوخ شاهد الملك شحّاذًا فقيرًا كان قد لجأ إلى الكوخ ليحتمى فيه .. وكان الشحاذ يلبس هلاهيل ممزقة لا تكاد تستر جسمه .. فقال الملك لابد أن هذا الرجل قد وهب كل شىء إلى بناته لأن أى رجل لا يمكن أن يصل إلى هذا المصير البائس إلا إذا كان والدًا لبنات جاحدات .. !!

● ● ●

بعد أن هدأت العاصفة .. اصطحب النبيل المخلص إيرل كنت الملك

لير إلى قلعة « دوفر » وطلب من بعض الفرسان الذين ما زالوا مخلصين للملك ويحتفظون بولائهم له ، أن يقوموا برعاية الملك بدلاً منه لأنه سيقوم برحلة قصيرة .

وأبحر إيرل كنت إلى فرنسا حيث قابل الملكة كورديليا الإبنة الصغرى للملك لير والتى تزوجها ملك فرنسا .. وأخبرها بالمصير المؤلم والمؤسف الذى انتهى إليه والدها بسبب الجحود وسوء المعاملة وعدم الاحترام والإذلال الذى لاقاه الملك من أختيها .

وطلبت الملكة كورديليا من زوجها ملك فرنسا أن يزودها بجيش كبير تذهب به إلى بريطانيا لإسقاط حكم هاتين الأختين الجاحدتين .. فوافق الملك على إعداد وتجهيز الجيش المطلوب .. وأبحر الجيش ونزل إلى شواطىء « دوفر » .

فى ذلك الوقت كان الملك لير قد تمكن من الهرب من رقابة فرسان قلعة «دوفر» وانطلق يعدو فى الحقول المجاورة وهو فى حالة جنون مؤسفة .. كان يغنى بأعلى صوته أغنيات لامعنى لها .. ويضع على رأسه تاجاً من القش !

وانطلق بعض جنود جيش كورديليا ليبحثوا عن الملك إلى أن عثروا عليه وهو فى تلك الحالة المؤسية البائسة . وكانت كورديليا مشتاقة إلى رؤية والدها، ولكن الأطباء منعوها من ذلك بسبب سوء حالته ، فوعدتهم بأن تعطيهم كل ما تملكه من ذهب ومجوهرات إذا عالجوا أباها وأعادوه إلى حالته الطبيعية .

وبعد أن هدأت حالة الملك قليلاً ذهبت كورديليا لمقابلته .. وتم لقاء

حافل بالمشاعر بين الملك وابنته الوفية ، التى أخبرته بأنها جاءت لتعيد إليه حقوقه .

• • •

فى تلك الأثناء كان الخلاف قد دب بين الأختين الجاحدتين «جونريل وريجان» .. ولأن هاتين الأختين كانتا غير مخلصتين لأبيهما ، فقد كانتا أيضاً غير مخلصتين لزوجيهما .. ومن الغريب أنهما وقعتا فى حب دنىء مع رجل واحد ، هو «إدموند» الإبن غير الشرعى لإيرل جلوسستر . وكان هذا الإبن قد إستطاع أن يغتصب حكم جلوسستر من أخيه «إدجار» الوريث الشرعى لحكم المقاطعة . وتلاحقت الأحداث بسرعة .

مات دوق كورنوول زوج الإبنة ريجان التى أعلنت على الفور عزمها على الزواج من «إدموند» الذى كان على علاقة سابقة معها ومع أختها جونريل فى نفس الوقت . ولذلك فقد حقدت جونريل على أختها وأعمتها الغيرة فدست لها السم وقتلتها ..

وعندما علم دوق ألبانى زوج جونريل بالجريمة التى ارتكبتها زوجته الشريرة أمر بالقبض عليها وإعدامها .. وهكذا إنتهت شرور هاتين الأختين الجاحدتين . .

أما الإبنة الوفية المخلصة كورديليا فقد انهزم جيشها فى حربه مع جيش «إدموند» الذى أسر كورديليا فسجنت وأعدمت ..

ومات الملك لير حزناً على إبنته الوفية .. ومات بعده إيرل كنت الذى كان متنكراً فى هيئة الخادم كايوس حزناً على وفاة سيده .

وقتل «إدموند» فى مبارزة قامت بينه وبينه أخيه «إدجار» الوريث الشرعى الذى استعاد حكم المقاطعة من الأخ المغتصب .

وأصبح دوق البانى زوج جونريل ملكاً على إنجلترا ..

وهكذا انتهت حكاية الملك لير وبناته الثلاث ..!

وليم شيكسبير

حلم ليلة صيف

A MIDSUMMER NIGHT'S DREAM

BY : WILLIAM SHAKESPEARE

شخصيات الرواية :

- تيسيوس : حاكم أثينا .
- إيجوس : والد هرميا ويريد تزويجها من ديمتريوس .
- هرميا : فتاة شابة تحب ليساندر .
- ليساندر : شاب من أثينا .
- ديمتريوس : شاب آخر من أثينا .
- هيلينا : فتاة صديقة لهرميا وتحب ديمتريوس .
- أوبرون : ملك الجن .
- تيتانيا : ملكة الجن وعلى خلاف مع زوجها .
- بك : مستشار ملك الجن .
- جنيات كوصيفات لملكة الجن .
- أحد القرويين .

فى أثينا القديمة ببلاد اليونان ، كان هناك قانون ظالم غريب يعطى للأب الحق فى طلب إعدام الإبنة إذا رفضت الزواج بالشخص الذى يرشحه لها أبوها .. ولأن هذا القانون كان جائراً ، فقد كان من النادر تطبيقه .

ومع ذلك فقد تقدم «إيجوس» والد الشابة الجميلة «هرميا» إلى «تيسيوس» حاكم المدينة ، يطلب منه تنفيذ حكم الإعدام فى ابنته «هرميا» لأنها رفضت الزواج من الشاب الذى رشحه لها وإسمه «ديمتريوس» وهو من عائلة نبيلة .

وقالت «هرميا» للحاكم أنها تحب شاباً آخر اسمه «ليساندر» وتتمنى الزواج به .. كما قالت أيضاً أن صديقتها «هيلينا» تحب «ديمتريوس» وتتمنى الزواج به ..

ولأن «تيسيوس» كان حاكماً عادلاً فلم يأمر بتنفيذ القانون على الفور ، وأعطى «هرميا» مهلة لمدة أربعة أيام لتدبر أمرها وإلا نفذ فيها حكم الإعدام.

وعندما أخبرت «هرميا» حبيبها «ليساندر» بقرار الحاكم حزن حزناً عظيماً.. ولكنه طلب منها ألا يستسلما لهذا الظلم .. وعرض عليها أن يرحلا سراً من أثينا إلى حيث تعيش عمته فى إحدى المدن اليونانية البعيدة التى

لاتطبق هذا القانون الجائر ، وحيث يتمكنان من الزواج فى هدوء وسلام .. وتواعد الحبيبان على اللقاء عند مشارف الغابة بخارج أثينا عندما يحل الليل..

وفرحت «هرميا» كثيراً بهذا العرض ووافقت عليه .. ولم تخبر به أحداً سوى صديقتها «هيلينا» .. ولكن «هيلينا» لم تحتفظ بهذا السر وأخبرت به حبيبها «ديمتريوس» على أمل أن يصرف النظر عن الزواج من «هرميا» ليتزوجها هى ، فتحقق أملها .. ولكن «ديمتريوس» أخبرها بأنه سوف يذهب إلى الغابة ليتتبع الحبيبين الهاربين .

● ● ●

وعندما ظهر القمر ، ملأ بنوره أرجاء الغابة .. وكان يحلو لتلك المخلوقات الصغيرة التى تسمى بالجن ، أن تلهو وترقص بين أشجار الغابة فى الليالى القمرية .

وكان ملك الجن واسمه «أوبرون» على خلاف مع زوجته ملكة الجن «تيتانيا» لأنها رفضت أن تعطيه ولداً ليكون تابعاً له .. وكانت «تيتانيا» قد أحضرت هذا الولد ليعيش معها فى الغابة وذلك بعد أن ماتت أمه التى كانت صديقة لها .

وفى تلك الليلة تقابل الملك والملكة فى أحد أركان الغابة . وكرر الملك طلبه وكررت الملكة رفضها .. فانصرف ملك الجن غاضباً وقال للملكة أنه سيجد طريقا ليرغمها على تحقيق طلبه قبل أن يبزغ نور الفجر .

استدعى «أوبرون» ملك الجن وزيره ومستشاره الخاص وكان عفريتاً من

الجن إسمه «بك» .. وكان هذا العفريت بارعاً فى العفرتة ويجيد الأعمال العفريتية .. وقال له:

ـ إذهب يا «بك» وأحضر لى الزهرة الأرجوانية التى تسميها العذارى «الحب بجنون» .. إن رحيق تلك الزهرة له قوى سحرية أعرفها جيداً .. فإذا وضعت قطرات منه فى عينى شخص نائم ، فإن هذا الشخص سيحب بجنون أول شخص أو مخلوق تقع عليه عيناه عندما يستيقظ .. وهذه هى الطريقة التى سأرغم بها الملكة «تيتانيا» على إعطائى الولد الذى أطلبه .. سأضع بعض القطرات فى عينيها أثناء نومها .. وعندما تستيقظ ستقع فى حب أول مخلوق تراه سواء أكان أسداً أو دباً أو قرداً أو حماراً .. ولن أزيل مفعول هذا السحر عنها ـ برحيق آخر أعرف سره ـ إلا بعد أن تعطينى الولد.. !

وفى الحال ، ذهب الجنّى «بك» لإحضار الزهرة التى طلبها الملك «أوبرون» .. وفى تلك الأثناء شاهد الملك منظراً لفت انتباهه .. رأى «ديمتريوس» الذى كان يجوب فى أرجاء الغابة باحثاً عن الحبيبين الهاربين .. ورأى وراءه الفتاة الجميلة «هيلنيا» وهى تتوسل إليه أن يعود إليها لأنها تحبه بجنون .. ولكن «ديمتريوس» كان قاسى القلب .. وكان يرد على حبيبته الولهانة المتيمة به بكلمات غاضبة لا رحمة فيها ولاعطف .. وانفلت هارباً منها تاركاً إياها لتواجه وحوش الغابة وحدها .. وأخذت المسكينة تجرى خلفه وتحاول اللحاق به دون جدوى .

ولأن «أوبرون» ملك الجن كان شديد العطف على المحبين المخلصين فقد تعاطف مع «هيلينا» وقرر أن يحل مشكلتها ويرغم «ديمتريوس» على حبها ..

وعندما عاد «بك» ومعه رحيق الزهرة الأرجوانية .. طلب منه «أوبرون» أن يحتفظ ببعض هذا الرحيق ليضعه فى عينى شاب يلبس الملابس الأثينية أثناء نومه فى الغابة ، وسيجد بجوار هذا الشاب فتاة جميلة نائمة هى الأخرى، وبهذا سيفعل الرحيق سحره ، ويحب الشاب فتاته بجنون ، بمجرد أن يستيقظ ويراها ..

ولكن .. ماذا كان من أمر الحبيبين الهاربين «هرميا» و«ليساندر» ..؟

لقد التقى الحبيبان فى الموعد والمكان المتفق عليهما .. وشقا طريقهما معاً عبر أرجاء الغابة .. متوجهين إلى المدينة التى تعيش فيها عمة «ليساندر» ..

ولكن «هرميا» لم تعد تتحمل السير وعناء الطريق ، فطلب منها «ليساندر» أن تستريح حتى الصباح ليواصلا السير بعد ذلك إلى سعادتهما المستقبلة . وأعد لها مرقداً على شاطىء النهر المغطى بالعشب الناعم الأخضر .. ورقد هو الآخر على مسافة قريبة منها .. وسرعان ما استغرق الاثنان فى نوم عميق ..

● ● ●

ولكن الجنّى «بك» ارتكب خطأ جسيماً .. فقد رأى كلاً من «ليساندر» و «هرميا» نائمين فى أحد أركان الغابة .. وكان «ليساندر» بطبيعة الحال يرتدى الملابس الأثينية ، فظنه الشخص الذى أمره ملك الجن بوضع قطرات من الرحيق فى عينيه ، فتقدم منه بخفة ونفذ أمر الملك .

وفى تلك الأثناء كانت المسكينة «هيلينا» قد تاهت فى أرجاء الغابة وهى تبحث عن حبيبها «ديمتريوس» .. ولكن بدلاً من أن تعثر عليه ، عثرت على «ليساندر» الذى كان نائماً فى مكان قريب من المكان الذى تنام فيه «هرميا»..

اندهشت «هيلينا» وظنت أن «ليساندر» قد مات أو أصابه سوء ، فتقدمت إليه ومدت يدها إلى كتفه وأخذت تهزه حتى يستيقظ .. وعندما فتح «ليساندر» عينيه ، كانت «هيلينا » هى أول من وقع عليها نظره ، فوقع فى حبها بجنون على الفور بفعل الرحيق السحرى الذى وضعه «بك» فى عينيه..

وفى لمح البصر ، ابتسم «ليساندر» بسعادة غامرة ، وأخذ يبث «لهيلينا» كل كلمات الغزل والحب التى تعبر عن عاطفته الفجائية المتفجرة .. وتعجبت «هيلينا» من هذا التحول الفجائى فى عواطف «ليساندر» وخصوصاً أنها تعلم جيداً أنه يحب صديقتها «هرميا» حباً صادقاً .. ولذلك فقد ظنت أنه يسخر منها ويهزأ بها ، فعاتبته بشدة وأنبته على هذا السلوك غير القويم نحوها ..

ثم اندفعت «هيلينا» وهى تجرى فى أرجاء الغابة مرة أخرى ، باحثة عن حبيبها «ديمتريوس» .. ولكن «ليساندر» اندفع يجرى وراءها .. وترك حبيبته «هرميا» راقدة فى مكانها مستغرقة فى نومها .

● ● ●

استيقظت «هرميا» فوجدت نفسها وحيدة فخافت وحزنت .. وانطلقت تجرى فى الغابة دون أن تعرف أى طريق تسلك حتى تعثر على حبيبها «ليساندر» .

أما ملك الجن «أوبرون» ووزيره الجنّى «بك» فقد كانا يتجولان فى الغابة فى تلك الأثناء ، وعثرا على «ديمتريوس» نائماً تحت شجرة بعد أن أعياه البحث عن الحبيبين الهاربين .. وعلم ملك الجن أن وزيره قد أخطأ ووضع رحيق الزهرة فى عينى شخص آخر هو «ليساندر» بينما كان المطلوب أن يضع

تلك القطرات فى عينى «ديمتريوس» لذلك فقد قام ملك الجن بوضع قطرات من رحيق الحب فى عينى «ديمتريوس» ووقفا ينتظران ماسوف يحدث .

أخيراً ظهرت «هيلينا» ورأت حبيبها «ديمتريوس» نائماً .. وكم كانت تتمنى أن يبادلها حباً بحب ويتخلى عن فكرة الزواج بصديقتها «هرميا» ..

وتقدمت «هيلينا» وأيقظت «ديمتريوس» .. وكانت بالطبع أول شخص يراه فوقع على الفور فى حبها ، وأخذ يبثها لواعج الهوى بأرق الكلمات وأعذبها .. واندهشت «هيلينا» من هذا التحول الفجائى فى مشاعر «ديمتريوس» نحوها .. وظنت أنه يسخر منها ويهزأ بها كما فعل «ليساندر» من قبل .

وفى تلك اللحظات ظهر «ليساندر» الذى كان واقعاً فى حب «هيلينا» بفعل الرحيق السحرى .. ثم ظهرت «هرميا» التى كانت تجرى وراءه ..

وما أن وصل «ليساندر» ورأى «هيلينا» أمامه حتى أخذ يبثها أشواقه وهيامه .. وفوجىء «ديمتريوس» بذلك فاشتبك فى شجار غاضب مع «ليساندر» .. كما فوجئت «هرميا» بأن صديقتها «هيلينا» قد أصبحت محلاً لكل هذا الحب والإعجاب من كل من الشابين «ديمتريوس» و«ليساندر» .. وهكذا اشتبكت الفتاتان أيضاً فى شجار غاضب .. بينما انصرف الشابان الغاضبان ليبحثا عن مكان مناسب فى الغابة يتقاتلان فيه ..

كان ملك الجن ووزيره يشاهدان كل هذا الارتباك الذى حدث .. وقال الملك للوزير مؤنباً : أرأيت ؟ .. كل هذا كان بسبب الخطأ الذى ارتكبته !.. فقال الوزير العفريت : ولكن الموقف أصبح ظريفاً للغاية !



وعندئذ أمر الملك وزيره بأن يضع فى عينى «ليساندر» بعض قطرات من رحيق آخر له مفعول قوى فى إزالة المفعول السحرى للرحيق الأول .. وبهذا يتخلص «ليساندر» من حبه الطارىء «لهيلينا» ويعود إلى حبه القديم لحبيته «هرميا» .. كذلك فقد طلب ملك الجن من وزيره «بك» أن يملأ أرجاء الغابة بشبورة وضباب كثيف لكى يمنع الشابين من الاقتتال .

وقال ملك الجن فى النهاية : ان على الآن أن أذهب إلى حيث تنام الملكة «تيتانيا» لأرى ماسوف يحدث لها ..!

كانت الملكة نائمة فى مكان قريب من المكان الذى ينام فيه رجل قروى بسيط .. فطرأت فى الحال فكرة عفريتية فى ذهن ملك الجن ، وقرر أن يحول رأس هذا القروى إلى رأس حمار ، ليكون أول من تقع عليه عينا الملكة حين تستيقظ من النوم ، فتحبه بجنون بفعل الرحيق السحرى الذى وضعه الملك فى عينيها أثناء نومها .

وعندما استيقظت الملكة ورأت الرجل القروى ذا رأس الحمار ، وقعت فى غرامه على الفور ، وأخذت تبثه لواعج حبها له واعجابها به .. وأمرت بعض الجنيات من وصيفاتها أن يكن فى خدمة هذا الحمار الحبيب ، وأن يحضرن إليه أطيب الفواكه وأقراص العسل ..

وهنا ظهر أمامها زوجها ملك الجن .. ورآها وهى تبدى كل هذا الاهتمام بحبيبها الحمار .. فخجلت الملكة من نفسها .. ومنحت زوجها الولد الذى كان يطلبه منها لكى يصبح من أتباعه ..

وعندما حصل الملك على الولد ، أشفق على زوجته الحبيبة الملكة «تيتانيا» .. فوضع فى عينيها قطرات من الرحيق المضاد الذى يبطل مفعول

الرحيق الأول الذى أوقعها فى حب الحمار .. كما أعاد الرجل القروى إلى صورته الحقيقية وتركه نائماً ..

وقص الملك «أوبرون» على الملكة «تيتانيا» حكاية الشابين والفتاتين والارتباك الشديد الذى وقع لهم .. فطلبت الملكة أن تذهب مع زوجها ليشاهدا كيفية حل تلك المشكلة ..

وفى أحد أركان الغابة كان الجميع نائمين بعد أن أمر الملك باحضارهم إلى هذا المكان .. وتقدم الملك من «ليساندر» وصب فى عينيه قطرات من الرحيق المضاد ليزيل عنه سحر الرحيق الأول الذى أوقعه فى حب «هيلينا»..

وبعد فترة وجيزة ، استيقظ «ليساندر» فوجد حبيبته «هرميا» راقدة بجواره، فاستعاد حبه القديم وأخذ يعبر لها عن عواطفه الصادقة نحوها .. واندهش الحبيبان من غرابة الأحداث التى وقعت لهما أثناء الليل ، ولم يتصوروا أنها حدثت فى الحقيقة والواقع ، واعتبراها حلماً مشتركاً حدث أثناء النوم..

واستيقظ «ديمتريوس» بعد ذلك ، فوجد حبيبته «هيلينا» راقدة بجواره فأيقظها بأجمل عبارات الحب وكلمات الاعجاب .. وشعرت «هيلينا» بسعادة غامرة لصدق المشاعر والعواطف التى يبديها «ديمتريوس» نحوها ..

وهكذا عاد الصفاء إلى الجميع ولم تعد هناك سوى مشكلة «إيجوس» والد هرميا الذى كان قد جاء إلى الغابة ليبحث عن ابنته الهاربة ..

وعندما رأى «إيجوس» أن «ديمتريوس» قد تخلى عن طلب الزواج من «هرميا» وافق على الفور على أن تتزوج «هرميا» من «ليساندر» وبذلك يسقط طلب الحكم باعدامها .

كما أن «ديمتريوس» و«هيلينا» وافقا على أن يتم زواجهما فى نفس اليوم الذى سيتم فيه زواج «ليساندر» و«هرميا» ..

وقد حضر ملك وملكة الجن هذا الاحتفال .. بل وأقاما احتفالاً خاصاً فى مملكة الجن بهذه المناسبة ..

وكل من لايصدق أن تلك الأحداث الغريبة قد حدثت فى الواقع .. فليس هناك مانع من أن يعتبرها مجرد حلم لطيف فى منتصف ليلة من ليالى الصيف.

وليم شيكسبير

الليلة الثانية عشرة

TWELFTH NIGHT

BY : WILLIAM SHAKESPEARE

شخصيات الرواية :

- أورسينو ، الدوق حاكم منطقة إليريا .
- سباستيان ، شاب من منطقة مسالينا ، توأم لفيولا .
- انطونيو ، قبطان السفينة وصديق لسباستيان .
- قبطان آخر .
- فيولا ، شقيقة سباستيان التوأم ، تنكرت في زى الرجال وأطلقت على نفسها اسم سيزاريو .
- أوليفيا ، فتاة نبيلة .
- مجموعة من الأتباع والخدم .
- قسيس .

كان التوأمان «سباستيان» وأخته «فيولا» يعيشان فى «مسالينا» .. وكانا يشبهان بعضهما إلى حد كبير .. بل إلى درجة لايمكن التفريق بينهما سوى بالملابس التى يرتديها كل منهما .. لقد ولدا فى ساعة واحدة ، وتعرضا لخطر الموت غرقاً فى ساعة واحدة .. وذلك حين ارتطمت السفينة التى كانا يسافران عليها بالصخور ، بعد أن تعرضت لعاصفة عاتية .

تحطمت السفينة وغرقت بالقرب من شاطىء منطقة تسمى «إليريا» .. ولم يتمكن من النجاة سوى عدد قليل من الركاب استطاعوا الوصول إلى شاطىء الأمان على ظهر قارب صغير .. وكان من ضمن الناجين ، قبطان السفينة والشابة «فيولا» .

وبدلاً من أن تفرح «فيولا» بنجاتها من الموت غرقاً ، أخذت تبكى وتولول حزناً على موت أخيها التوأم «سباستيان» .. ولكن قبطان السفينة أخذ يطمئنها ويخفف عن روعها .. وأخبرها أنه شاهد أخاها متعلقاً بأحد صوارى السفينة .. وطافياً فوق الموج .. وهناك احتمال كبير فى نجاته من الغرق .. وتعلقت «فيولا» بهذا الأمل .

ومع ذلك فقد أخذت «فيولا» تتساءل عن مصيرها فى تلك المنطقة التى لاتعرفها .. وكيف تعيش إلى أن تعثر على أخيها «سباستيان» .. وقال القبطان يطمئنها :

ـ منطقة «إليريا» جميلة ورائعة وتتميز بالهدوء .. ويحكمها دوق من النبلاء إسمه «أورسينو» .. ولم يتزوج هذا الدوق حتى الآن .. وإن كنت قد سمعت منذ شهر مضى ، أنه واقع فى حب فتاة من النبيلات إسمها «أوليفيا» .. مات أبوها الكونت منذ نحو عام، فعاشت مع أخيها فترة قصيرة .. ولكن أخاها مات فجأة .. وأصبحت «أوليفيا» وحيدة ، يكاد قلبها أن ينفطر حزناً على وفاة أبيها وأخيها .. وقررت أن تلزم بيتها لاتغادره .. وأن تمتنع تماماً عن مقابلة الرجال .. حتى ولو كان الذى يريد أن يقابلها هو الدوق نفسه !

وتعاطفت «فيولا» مع مشاعر «أوليفيا» وأحزانها .. فقد كانت هى الأخرى حزينة على فقد أخيها .. وتمنت «فيولا» لو تلتقى يوماً بتلك الفتاة النبيلة الحزينة ..

وصارحت «فيولا» القبطان الطيب بأنها لكى تحافظ على نفسها ، فمن الأفضل لها أن تتخفى فى زى الرجال وتصبح شاباً يحمل إسماً جديداً هو «سيزاريو» .. وطلبت من القبطان أن يساعدها فى الحصول على وظيفة فى بلاط الدوق باعتبارها رجلاً .. وأعطت القبطان نقوداً ليشترى لها ملابس رجالية مماثلة تماماً لملابس أخيها الغائب «سباستيان» .

وهكذا تزيت «فيولا» بزى الرجال وأصبحت تبدو كشاب أنيق فى غاية الرقة والأدب .. واستخدم القبطان نفوذه فألحقها بوظيفة فى خدمة الدوق «أورسينو» .. ولم يمض وقت طويل حتى كسبت «فيولا» [وهى الآن الشاب سيزاريو] ثقة الدوق الحاكم وأصبحت من أقرب معاونيه ..

وبسبب هذه الثقة التى وضعها الحاكم «أورسينو» فى الشاب «سيزاريو» أخذ يحكى له عن لواعج حبة للفتاة النبيلة «أوليفيا» .. وكيف أنه يتمنى

الزواج بها ، ولكنها ترفض حتى مقابلته .. أو فتح هذا الموضوع أمامها بطريقة أو بأخرى ..

• • •

كان الدوق شاباً مليح القوام ويحمل قلباً طيباً رقيقاً .. وسرعان ما وجدت «فيولا» نفسها واقعة فى حبه ، وأصبحت تتمنى فى قرارة نفسها أن تصبح زوجة له بعد أن تتخلى عن تنكرها وتخفيها فى زى الرجال ، وتتخلص من إسم «سيزاريو» وتعود إلى إسمها الحقيقى .

وبينما كان الدوق يواصل حديثه مع «سيزاريو» .. ويشرح له مدى الحب الذى يكنه فى قلبه للفتاة النبيلة «أوليفيا» .. قال «سيزاريو» أنه مندهش من أمر هذه الفتاة الذى لاتتجاوب مع مشاعر الدوق وأحاسيسه الطيبة الصادقة .. وقال أنه لو كان فتاة لكان قلبه قد امتلأ بأقوى مشاعر الحب والهوى .... ولعاش طول حياته متفانياً فى حب الدوق ومخلصاً له..

• • •

كان الدوق قد أرسل رسولاً إلى «أوليفيا» فى محاولة للتفاهم معها .. وعندما عاد الرسول أخبر الدوق بأخبار غير سارة .. قال أن «أوليفيا» تنوى أن تعيش كراهبة لمدة سبع سنوات متتالية .. وأنها ستضع النقاب فوق وجهها .. وستذرف الدمع مدراراً حزناً على أخيها ووفاءً لذكراه ..

وعندئذ طلب الدوق من «سيزاريو» أن يقوم بمهمة الرسول بينه وبين «أوليفيا» .. وطلب منه أن يشرح لها مدى حب الدوق لها .. وأن يستميلها لكى تبادله حباً بحب وتخرج من أحزانها ..

وكم كانت هذه المهمة ثقيلة على قلب «فيولا» .. فها هى الآن قد

أصبحت مكلفة بواجب غريب .. وعليها أن تستميل قلب «أوليفيا» لكى تحب الدوق وترضى بزواجه منها .. بينما هى فى حقيقة الأمر قد وقعت فى حب الدوق وأصبحت تتمناه لنفسها ..

وهكذا ذهب الشاب «سيزاريو» إلى بيت «أوليفيا» وألح على الخادمة أن تسمح له بمقابلة «أوليفيا» لأمر هام للغاية .. ولكن الخادمة تعللت بأن سيدتها مريضة ونائمة ولاتريد أن تقابل أحداً .. ومع ذلك فقد أصر «سيزاريو» على مقابلة «أوليفيا» وقال أنه لن يغادر المكان إلا إذا قابلها لكى تسمع الرسالة التى يحملها .

وأمام هذا الإلحاح والاصرار .. سمحت «أوليفيا» بمقابلة هذا الشاب لتعرف غرضه ..

• • •

حدثت أشياء غريبة فى تلك المقابلة التى تمت بين «أوليفيا» و«فيولا» المتخفية فى هيئة الشاب «سيزاريو» .. فقد وقعت «أوليفيا» فى غرام «سيزاريو» من أول نظرة .. ورفضت بالتالى أن تستمع للكلمات التى يقولها نيابة عن الدوق «أورسينو» الذى أرسله فى هذه المهمة .. وقالت «أوليفيا» بصراحة أنها تحترم الدوق وتقدره ، ولكنها لايستطيع أن تحبه لأنها لا تملك مقادير قلبها .

ولأن «أوليفيا» كانت تريد أن يحضر الشاب «سيزاريو» لتراه مرة أخرى ، فقد طلبت منه أن يبلغ الدوق برأيها هذا ثم يعود إليها ليخبرها بما يقرره الدوق فى ذلك .

وبعد أن انصرفت «فيولا» أخذت تتأسف بينها وبين نفسها على فشلها فى المهمة التى كلفها بها الدوق باعتبارها الشاب «سيزاريو» الذى أرسله الدوق ليستميل قلب «أوليفيا» ويحصل على موافقتها على الزواج منه .. كما تأسفت أكثر وأكثر لشعورها بأن «أوليفيا» قد وقعت فى غرام «سيزاريو» .. وما «سيزاريو» إلا وهماً وسراباً غير حقيقى، لأنه فى حقيقة الأمر فتاة جميلة هى «فيولا» التى مال قلبها إلى الدوق وامتلأ بحبه ..

وتقمصت «فيولا» شخصية «سيزاريو» حتى وصلت إلى قصر الدوق ، وقابل الدوق تابعه «سيزاريو» وهو يتمنى أن يسمع منه أخباراً سعيدة .. ولكن «سيزاريو» أخبر الدوق بفشل مهمته وأبلغه بأن «أوليفيا» تقول أنها تحترم الدوق وتقدره ، ولكنها لاتستطيع أن تحبه لأنها لاتملك مقادير قلبها .

ومع ذلك فقد طلب الدوق من «سيزاريو» أن يعاود اتصاله «بأوليفيا» مرة أخرى ، لعله ينجح فى تليين قلبها .

• • •

وفى تلك المقابلة الثانية ، وجد «سيزاريو» ترحيباً كبيراً من جميع الخدم ومن سيدة البيت «أوليفيا» التى رفعت النقاب عن وجهها لتعرض عليه جمالها ، وطلبت منه إلا يحدثها باعتباره رسول الدوق ، وألمحت له أنها تحب سماع صوته وهو يتحدث فى أى موضوع آخر ، لأن صوته العذب الجميل شبيه بصوت الموسيقى السماوية .

وأخذت «أوليفيا» تلمح بحياء إلى ما يكنه قلبها نحوه من حب .. وازدادت بالتالى حيرة «سيزاريو» من هذا الموقف الغريب البالغ التعقيد ، ولم

يستطع أن يقول شيئاً سوى أنه لايمكنه بأى حال من الأحوال أن يقع فى حب امرأة .

وعندما عاد «سيزاريو» إلى قصر الدوق ، أدرك الدوق أن «أوليفيا» ترفض حبه رفضاً قاطعاً ، وأنها وقعت فى غرام الرسول الذى أرسله إليها . ولذلك فقد غضب الدوق على «سيزاريو» ودعاه إلى المبارزة بالسيف .. وأخرج الدوق سيفه من غمده وتقدم نحو «سيزاريو» ..!

وهنا .. كادت «فيولا» أن تبوح للدوق بحقيقة أمرها .. وأنها فتاة شابة اضطرت إلى التنكر فى زى شاب .. بل وكادت أن تبوح له بحبها وإخلاصها.

ولكن حدث شىء غريب على حين فجأة ، فقد تصادف مرور شخص غريب عن المنطقة ، وما أن رأى الدوق شاهراً سيفه نحو «سيزاريو» حتى تقدم وأوقف الدوق قائلاً له أنه على استعداد لتحمل أى خطأ يكون هذا الشاب قد ارتكبه .. وأنه سيدخل المبارزة بدلاً منه ..

اندهشت «فيولا» من ظهور هذا الرجل الغريب الذى أنقذها من هذا الموقف الشائك .. وقبل أن تشكره على ذلك ، جاء ضباط الدوق وألقوا القبض على الرجل الغريب .

وأخذ الرجل الغريب يصيح قائلاً وهو يشير إلى «سيزاريو» .. أنه انقذ هذا الشاب من الموت غرقاً .. وأنه أعطى لهذا الشاب كل نقوده .. وأخذ يطالبه بأن يعيد إليه هذه النقود ..

ولكن «سيزاريو» قال أنه لم ير هذا الرجل من قبل ولايعرف شيئاً عن النقود التى يدعى الرجل أنه تركها وديعة عنده ..



وعندئذ قال الرجل الغريب أنه قبطان لسفينة أنقذت هذا الشاب من الموت غرقاً حين وجده طافياً فوق الموج متعلقاً بصارى سفينة تحطمت .. وأنه نزل مع هذا الشاب إلى شاطىء «إليريا» منذ ساعات قليلة .. وأن هذا الشاب قد خرج ليتنزه قليلاً .. وعندما تأخر فى العودة فقد خرج القبطان للبحث عنه ، إلى أن وقع فى هذا المأزق .

وبطبيعة الحال ، فإن «فيولا» لاتعرف أى شىء مما يتحدث عنه القبطان ، الذى يعاملها وكأنها شاب يعرفه .. وعندما أنكرت أى صلة لها بهذا القبطان، صاح القبطان قائلاً : كم أنت ناكر للجميل يا «سباستيان» !!

وهنا أدركت «فيولا» أن القبطان يتحدث عن أخيها «سباستيان» الذى نجا من الغرق .. وأن القبطان يظن أنها «سباستيان» نفسه لشدة الشبه بينها وبين أخيها التوأم خصوصاً وأنها متنكرة فى زى الرجال وترتدى ملابس من نفس الطراز الذى كان يفضله أخوها .

وعندئذ أسرعت «فيولا» بالانصراف لتقصى الأمر وغادرت المكان .. وظن الدوق أن تابعه «سيزاريو» [وهو فيولا فى حقيقة الأمر] قد هرب من المبارزة .

ولكن لم يمض وقت طويل حتى ظهر «سباستيان» .. واعتقد الدوق أنه «سيزاريو» .. وعلى الفور امتشق الدوق سيفه وبدأ الهجوم .. وعندئذ امتشق «سباستيان» سيفه هو الآخر وبدأت المبارزة .

ولكن «أوليفيا» ظهرت فجأة ، وأوقفت المبارزة بين الدوق «وسباستيان» الذى ظنته حبيبها «سيزاريو» .. وهكذا اصطحبت معها «سباستيان» إلى

البيت ، وهى تعتقد أنها فازت أخيراً بحبيبها .. وقد اندهش «سباستيان» من هذه المعاملة الودية الرقيقة من جانب تلك الفتاة النبيلة الجميلة .. فأخذ يبادلها وداً بود ورقةً برقة .. وكم فرحت «أوليفيا» بهذا التغير فى موقف حبيبها «سيزاريو» الذى لم يعد يصدّها كما كان يفعل من قبل ، بل وأخذ يبادلها كلمات الهوى ..

وانتهزت «أوليفيا» هذه الفرصة وعرضت عليه أن يتوجا حبهما بالزواج ، فوافق «سباستيان» على الفور ، وامتلأ قلبه بالفرح باقترانه بمثل هذه الفتاة النبيلة الجميلة ، واستدعت «أوليفيا» القس .. وتم عقد قرانهما ..

● ● ●

وفى العصر وصل الدوق ومعه بعض اتباعه إلى بيت «أوليفيا» .. وكانت «فيولا» [ومازالت تمثل دور الشاب سيزاريو] فى معية الدوق .

وسرعان ما اتضحت كل الأمور أمام الجميع .. فقد تعرفت «فيولا» على أخيها «سباستيان» .. وفرحت بنجاته من الغرق وعودته إليها سالماً .. وأفصحت «فيولا» عن شخصيتها الحقيقية ، وعن أنها فتاة فى حقيقة الأمر ، وأنها توأم لشقيقها «سباستيان» الذى يشبهها فى الملامح والصوت وكل شىء آخر ..

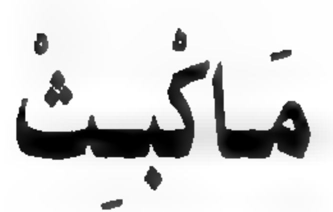
واعترفت بأنها اضطرت للتنكر فى زى الشاب «سيزاريو» وعملت فى خدمة الدوق لتحمى نفسها .. وانها أخلصت فى خدمة الدوق بكل مافى وسعها .. وأنها على استعداد أن تضحى بحياتها فى سبيل الدوق «أورسينو»..

وهنا فقط شعر الدوق بمدى الحب الذى تكنه «فيولا» نحوه ، فعرض عليها الزواج ..

وهكذا تزوجت «فيولا» من الدوق «أورسينو» فى مساء نفس اليوم الذى تزوج فيه شقيقها «سباستيان» من النبيلة الجميلة «أوليفيا» ..

وهكذا .. بسبب العاصفة التى هبت على السفينة التى كان يركبها هذان الشقيقان .. وتحطم السفينة على شواطىء «إليريا» عاش الشقيقان «فيولا» و«سباستيان» سعيدين طوال حياتهما .. !

ولـيم شيكـسبير



MACBETH

BY : WILLIAM SHAKESPEARE



شخصيات الرواية :

- دنكان ، ملك اسكتلندا .
- مَاكْبِث ، لورد جلاميس وقائد جيش الملك دنكان .
- بانكو ، قائد آخر لجيش الملك دنكان .
- فليانس ، ابن بانكو .
- مالكولم
- دونالبين

(مالكولم ودونالبين) إبنان للملك دنكان.

- ماكدوف ، لورد فايف .
- ليدى ماكبث ، زوجة ماكبث .
- ليدى ماكدوف ، زوجة ماكدوف .
- مجموعة أشباح .
- الساحرات الثلاث .

ماكبث : ملك اسكتلندا . مات عام ١٠٥٧ م .

بطل الرواية التراجيدية التى تحمل إسمه .

المشهد الأول :

كان لورد جلاميس المعروف بإسم «ماكبث» من أشجع قادة جيش الملك «دنكان» ملك اسكتلندا . وكان الملك يحبه ويقربه إليه .

وبينما كان القائد «ماكبث» وصديقه القائد «بانكو» عائدين بعد انتصارهما فى إحدى المعارك ، تقابلا مع ثلاث ساحرات .. وفوجىء «ماكبث» بأن الساحرة الأولى نادته بإسمه ولقبه .. ونادته الساحرة الثانية بلقب «لورد كاودور» وهو لقب أعلى من لقبه .. ثم نادته الساحرة الثالثة بلقب «صاحب الجلالة الملك القادم» !

اندهش «ماكبث» من كلام الساحرات ، لأنه أولاً لا يستحق لقب «لورد كاودور» . ولأنه ثانياً لايعرف كيف يصبح ملكاً ، بينما الملك «دنكان» مازال حياً وله ابنان سيعتلى أكبرهما عرش الملك بعد موت أبيه ..!

وقبل أن تختفى الساحرات الثلاث التفتن إلى القائد «بانكو» وقلن له نبوءة غامضة : «ستصبح أقل شأناً من «ماكبث» .. ولن تتولى العرش مثله .. ولكن أبناءك سيصبحون ملوكاً على عرش اسكتلندا» !!

وبعد اختفاء الساحرات .. وقف القائدان مشدوهين من تلك الأمور الغريبة التى حدثت أمامهما .. وفوجئا بوصول رسول خاص جاء سريعاً من قبل الملك ، وأبلغ «ماكبث» بأن الملك قد أنعم عليه بدوقية «كاودور» ويلقب «لورد كاودور» !

إذن .. فقد تحققت إحدى نبوءات الساحرات .. ومعنى هذا أنه من الممكن أن يصبح «ماكبث» ملكاً على اسكتلندا .. وقال «ماكبث» لصديقه «بانكو» ما رأيك .. هاهى إحدى النبوءات قد تحققت .. فهل تتمنى أن يصبح أبناؤك ملوكاً كما قالت الساحرات ؟!

فقال «بانكو» إن هذه النبوءات قد تدفعك إلى التطلع إلى اعتلاء العرش .. وهؤلاء الساحرات من رسل الظلام .. وقد تدفعنا كلماتهن إلى ارتكاب أفعال سيئة وشريرة !

ولكن «ماكبث» لم يلتفت إلى تحذيرات صديقه .. وامتلأ قلبه بالرغبة الجامحة .. وامتلأ عقله بالتفكير فى كيفية تحقيق النبوءة .. وكيف يصبح ملكاً على اسكتلندا ..

المشهد الثانى :

وعندما حكى «ماكبث» لزوجته حكاية الساحرات ونبوءاتهن امتلأ قلبها بالسعادة .. وكانت «الليدى ماكبث» هذه امرأة شريرة وطماعة وتطلعت بدورها إلى الحلم بأن تصبح ملكة على اسكتلندا إذا أصبح زوجها ملكاً .. لذلك فقد أخذت تثبت الفكرة فى عقل زوجها «ماكبث» وتغريه بأن يكون شجاعاً وأن يحقق تلك النبوءة .. وقالت إن السبيل الوحيد لتحقيق النبوءة هو قتل الملك «دنكان» !

وبعد أيام وصل الملك إلى القلعة التى يعيش فيها «ماكبث» وزوجته .. جاء الملك ليهنئه بالنصر الذى حققه فى المعركة .. وكان فى صحبة الملك إبناه «مالكولم» و «دونالبين» ومجموعة من اللوردات ورجال البلاط .

وأعجب الملك كثيراً بجمال القلعة التى يعيش فيها «ماكبث» وجمال موقعها .. وأعجب أكثر بالكرم والاحترام الذى وجده من «ماكبث» و«ليدى ماكبث» التى أجادت الابتسام وكل مظاهر التبجيل للملك وحاشيته ، بالرغم مما كانت تكنه فى صدرها من مكر وخداع ونيات شريرة ..

وبعد أن قام الملك بتوزيع بعض المنح والهدايا على رجال الحاشية وكبار الضباط ، أهدى ماسة ثمينة «لليدى ماكبث» مكافأة لها على حسن استقبالها وكرم ضيافتها .

ولأن الملك كان مرهقاً من أثر الرحلة ، فقد طلب أن ينام مبكراً .. لذلك فقد ذهب إلى حجرة النوم ، وفى صحبته اثنان من الخدم ليناما على مقربة منه وليلبيا أى طلب من طلباته ..

المشهد الثالث :

نام جميع من كانوا فى القلعة عدا «ماكبث» و«ليدى ماكبث» .. وأخذت تلك الزوجة الشريرة تخطط لجريمة قتل الملك ، وتدفع زوجها دفعاً لكى ينتهز الفرصة التى سنحت لهما للفوز بعرش اسكتلندا .. ولكن نوازع الخير أخذت تعتمل فى قلب «ماكبث» وجعلته يتردد فى ارتكاب تلك الجريمة البشعة .. إذ كيف يجسر على قتل ضيف فى بيته .. خصوصاً إذا كان هذا الضيف هو الملك الطيب الكريم الذى لم يبخل عليه أبداً بكل حب وتقدير وتكريم .. فكيف يقابل كل هذه الأفضال بجريمة شنيعة نكراء..؟!

وعندما رأت «ليدى ماكبث» تخاذل زوجها وتراجعه عن ارتكاب تلك الجريمة الغادرة ، سخرت منه ، وقررت أن تقوم بنفسها بقتل الملك .. فأخذت الخنجر وتسللت إلى حجرة نوم الملك ..

وكان الخادمان مستغرقين فى النوم لأنها كانت قد جعلتهما يشربان كثيراً من الخمر حتى تضمن غيبوبتهما عن الوعى .. ولما همت بأن تغرز الخنجر فى قلب الملك النائم ، خيل إليها وجه أبيها .. لذلك فلم تجسر على القتل .. وولت راجعة إلى «ماكبث» .

وأخذت تصب فى أذنيه بكل الاغراءات والكلام المعسول .. وتصور له المجد الذى ينتظرهما عندما يتوليان عرش اسكتلندا .. وتشحن رأسه بالشر .. وتؤكد له أن الأمر فى منتهى السهولة .. وأن عليه أن يقتل الملك بضربة واحدة .. وأن من السهل إلصاق التهمة بالخادمين .. وأن عملية القتل لن تستغرق سوى لحظات قصيرة تبدأ بعدها أيام طويلة ينعمان فيها بكل أمجاد العرش بعد أن يصبحا ملكاً وملكة .

وظلت تضغط وتضغط على زوجها حتى استجاب لها فى النهاية .. وأخذ الخنجر وتسلل إلى الحجرة التى ينام فيها الملك .. ولكنه رأى خيالاً كأنه خنجر مرفوع فى الهواء تسيل من نصله قطرات من الدم .. ولكنه سرعان ما أدرك أن تلك خيالات وأوهام تصورها الجريمة البشعة التى تدور فى رأسه المحموم ..

المشهد الرابع :

وقع «ماكبث» تماماً فى براثن الشر .. واقترب من الملك النائم واستجمع قوته وبضربة واحدة غرز الخنجر فى قلب الملك ..

وبمجرد اقتراف الجريمة الغادرة ، انتابت «ماكبث» حمى من الخيالات المرعبة .. وتشوشت أفكاره .. وتخيل أنه يسمع أصواتاً عالية تصرخ فى جنون: لقد قتل «ماكبث» رجلاً بريئاً نائماً .. لن يذوق «ماكبث» بعد الآن طعم النوم !.. لن يعرف «ماكبث» بعد الآن إلى النوم سبيلاً !!

اختلطت فى ذهنه أفكار وخيالات مرعبة .. وعاد مضطرباً إلى زوجته الشريرة وهو يترنح من الخوف والرعب .. فأخذت الزوجة تعنفه وتوبخه لأنه فقد تماسكه بهذا الشكل .. وطلبت منه أن يذهب ويغسل يديه الملوثتين بالدماء .. وأخذت الخنجر من يده ، وذهبت إلى حجرة الملك القتيل ، ولوثت خدود الخادمين بالدماء حتى تلصق بهما تهمة قتل الملك !

وفى الصباح علم الجميع بجريمة قتل الملك «دنكان» .. وأبدى «ماكبث» و«ليدى ماكبث» حزنهما الشديد لموت الملك .. وكانت الأدلة الظاهرة هى قيام الخادمين البريئين بارتكاب تلك الجريمة .. ولكن الاتهامات الخفية كانت تشير إلى أن «ماكبث» هو القاتل.. لذلك فقد هرب «مالكولم» الإبن الأكبر إلى أيرلندا ..

وبهروب «مالكولم» الذى كان من المفروض أن يتولى العرش بعد موت أبيه، خلا الطريق تماماً أمام «ماكبث» الذى توج ملكاً على اسكتلندا .. وبذلك تحققت نبوءة الساحرات بالنسبة «لماكبث» .. ولكن كانت هناك نبوءة أخرى بالنسبة للقائد «بانكو» ..

المشهد الخامس :

كانت البنوءة التى يعرفها «ماكبث» وزوجته ، هى أن أبناء «بانكو» سيصبحون ملوكاً على اسكتلندا .. ولكى يتخلص «ماكبث» وزوجته من

هذه النبوءة التى أقلقت راحتهما وبددت سعادتهما بالعرش الذى استوليا عليه ، قررا أن يتخلصا من «بانكو» وإبنه «فليانس» بالقتل .. ودبرا خديعة إجرامية أخرى .

قام الملك «ماكبث» وزوجته بدعوة جميع اللوردات إلى حضور حفل عشاء كبير .. وكان من ضمن المدعوين طبعاً «بانكو» وابنه «فليانس» .. وبينما كان هذان الضيفان فى طريقهما إلى قصر «ماكبث» خرجت عليهما مجموعة من القتلى الذين أرسلهم «ماكبث» لارتكاب الجريمة .. وتمكنت هذه المجموعة من قتل «بانكو» .. أما إبنة «فليانس» فقد استطاع أن يفر وينجو بجلده .

وفى أثناء حفل العشاء تخيل «ماكبث» أن شبح «بانكو» كان جالساً على المقعد الخالى الذى كان مخصصاً له .. وانتابت «ماكبث» حالة من الجنون فأخذ يهذى بكلام وكأنه يخاطب الشبح .. فطلبت الملكة «ليدى ماكبث» من المدعوين أن ينصرفوا لأن «ماكبث» مريض ويريد أن يرتاح ..

وهكذا وقع «ماكبث» وزوجته فى بئر عميقة من القلق والشقاء .. خصوصاً بعد أن تأكدا من أن «فليانس» إبن «بانكو» مازال حياً .. ولذلك فقد قرر «ماكبث» أن يذهب إلى الساحرات ليسألهن عن المصير والمستقبل .

المشهد السادس :

قامت الساحرات بأداء طقوس وحشية مرعبة ومقززة أمام «ماكبث» .. وظهرت أشباح وأرواح شريرة أخذت تشجع «ماكبث» على أن يكون دموياً بصفة دائمة .. وشجعته على البطش «بماكدوف» لورد فايف .. وتنبأت له

بأنه لن يهزم أبداً ، إلا إذا تحركت غابة «بيرنام» من مكانها واتجهت نحو جبل «دانسينان» !

وهنا فرح «ماكبث» واطمأن .. لأنه لن يهزم إلا إذا تحركت أشجار غابة «بيرنام» .. فكيف إذن تتحرك هذه الأشجار التى تضرب بجذورها فى أعماق الأرض ؟!

وسأل «ماكبث» الأرواح قائلاً : خبرونى هل سيجلس أبناء «بانكو» على عرش اسكتلندا ؟

وعندئذ سمع «ماكبث» موسيقى عالية .. ومر على مقربة منه ثمانية أشباح على شكل ملوك .. كما ظهر شبح «بانكو» ملوثاً بالدماء وهو يشير إلى الأشباح الثمانية .. وأدرك «ماكبث» أن هؤلاء الأشباح من سلالة «بانكو» وأنهم سيرثون عرش اسكتلندا .. وازداد «ماكبث» تعاسة وشقاء .. ولكن أفكاره أصبحت منذ ذلك الحين دموية وغادرة .

المشهد السابع :

وما أن وصل «ماكبث» إلى قصره بعد مقابلة الساحرات ، حتى علم بأن «ماكدوف» أحد اللوردات قد هرب إلى انجلترا لينضم إلى الجيش الكبير الذى كان يعده «مالكولم» ابن الملك القتيل «دنكان» ليحارب به «ماكبث» القاتل ومغتصب العرش .

وعندئذ انتابت «ماكبث» موجة من الغضب العارم فذهب إلى قلعة «ماكدوف» وقتل زوجته وكل أبنائه وأقربائه ..

وانتشر خبر تلك المذبحة الدموية الفظيعة بين سائر النبلاء واللوردات ،

فاشتاطوا غضباً ، وهرب معظمهم لينضموا إلى الجيش الذى يعده «مالكولم» ليسترد به عرش أبيه القتيل .. وأصبح «ماكبث» مكروهاً من الجميع ، الذين أصبحوا يرون فيه مثالاً دموياً للقتل والغدر ..

المشهد الثامن :

فى تلك الأثناء ماتت الملكة «ليدى ماكبث» .. وقيل أنها انتحرت لأنها لم تعد قادرة على احتمال كراهية الناس ، أو احتمال وزر أفعالها وأفكارها المليئة بالشر . وأصبح «ماكبث» وحيداً فى قصره ، لايشاركه فيه سوى الأوهام واليأس والرغبة فى الموت .. وبين حين وآخر كان يقول لنفسه إنه لن يهزم أبداً إلا إذا تحركت غابة «بيرنام» كما قالت النبوءة .. وكان يتشبث بهذا الأمل.

ولكن أحد الحراس جاءه ملتاعاً يرتجف من شدة الخوف ، وأخبره أنه شاهد غابة «بيرنام» تتحرك نحو القلعة .. وأنه شاهد هذا المنظر الغريب المخيف حين كان واقفاً فوق التل ..

وأدرك «ماكبث» عندئذ أن نهايته قد اقتربت .. وأن النبوءة المستحيلة قد بدأت تتحقق .. ثم وصلته أبناء بأن جيش «مالكولم» قد اقترب من مشارف القلعة .

المشهد التاسع :

ولكن كيف تحركت غابة «بيرنام» ..؟!

كان الأمر بسيطاً للغاية .. فحين مر الجيش بجوار الغابة .. أمر «مالكولم» كل جندى فى جيشه أن يقطع فرعاً من فروع الأشجار ويضعه

أمامه أثناء سيره ، وذلك للتمويه ، وحتى لايعرف «ماكبث» العدد الحقيقى لجيش «مالكولم» .

وعلى أية حال فقد تحركت الغابة ، والتحم الجيشان فى معركة ضارية . وعندما شاهد «ماكبث» عدوه «ماكدوف» أثناء القتال ، تحاشى أن يقاتله وأراد أن يتراجع أمامه ، ولكن «ماكدوف» شاهده ودعاه إلى القتال وأخذ يسبه ويلعنه بإعتباره قاتل زوجته وأولاده وأفراد عائلته .

ورد عليه «ماكبث» بأن ادعى أنه مسحور .. وأن السحر يحفظه من كل أذى ، ولن يتغلب عليه أحد ..!

المشهد العاشر :

ولكن «ماكدوف» دعاه إلى التخلى عن هذا السحر وتلك النبوءات الشريرة التى اقنعته بها الأشباح والأرواح الكاذبة .. ودعاه إلى القتال والمبارزة.

ومع ذلك لم يتقدم «ماكبث» إلى قتال عدوه .. وأخذ يسب ويلعن السحر والساحرات والنبوءات وكل هذه الأشياء الخادعة الشريرة . وأعلن أنه لن يقاتل «ماكدوف» ..!

فقال له «ماكدوف» : إذن فسوف ندعك تعيش ذليلاً.. وسوف نجعل الناس يتفرجون عليك مثلما يتفرجون على الوحوش !

لم يحتمل «ماكبث» هذا الذل والهوان الذى ينتظره إذا وقع فى أسر أعدائه. لذلك فقد شهر سيفه وبدأ مبارزة عنيفة مع عدوه «ماكدوف» .. وانتهى الصراع بمقتل «ماكبث» وقطع رأسه ..

وهكذا استعاد «مالكولم» عرش أبيه الملك «دنكان» .. وفرح جميع النبلاء والجماهير بنهاية الطاغية ..!

المؤلفون الذين ورد ذكرهم
فى هذا الكتاب

●● جول فيرن JULES VERNE

● من أشهر الأدباء الفرنسيين فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ومازالت شهرته العالمية ذائعة حتى الآن باعتباره واحداً من أهم رواد أدب الخيال العلمى ، وأحد الذين وضعوا أسس الكتابة فى هذا النوع من الأدب .

● ولد فى مدينة نانتس بفرنسا فى ٨ فبراير ١٨٢٨ ، ومات فى ٢٤ مارس ١٩٠٥ .

● بالرغم من أنه قد أكمل دراسة القانون فى باريس ، إلا أن هوايته للأدب جعلته ينصرف عن العمل بمهنة المحاماة أو غيرها من المهن القضائية الأخرى ، والتحق بعمل لايمت بصلة إلى دراسته ، حيث عمل سكرتيراً بالمسرح الغنائى فى الفترة من ١٨٥٢ حتى ١٨٥٤ ، ثم انصرف إلى تأليف بعض المسرحيات ونصوص «الليبرتّو» [أى الصياغة الشعرية للنصوص الأوبرالية] والقصص القصيرة .

● بدأت شهرته عندما نشر فى سنة ١٨٦٣ أولى رحلاته الخيالية فى رواية «خمسة أسابيع فى منطاد» وقد دفعه النجاح الذى قوبلت به هذه الرواية إلى

مواصلة الكتابة فى هذا النوع من أدب الخيال العلمى الذى تنبأ فيه بظهور بعض الأجهزة والاختراعات التى تم اكتشافها فى المستقبل .. فقد تنبأ بظهور السفن الفضائية للسفر بين الكواكب ، كما تنبأ بظهور التليفزيون والغواصات ، وظهور جهاز «الأكوا لانج» وهو جهاز الرئة المائية المكوّن من اسطوانة هواء مضغوط وكمامة لاينفذ منها الماء ويسمح بتنفس الغواصين تحت سطح البحر .

- وفى سنة ١٨٦٤ كتب رواية «رحلة إلى مركز الأرض »

LE VOYAGE AU CENTRE DE LA TERRE

- وفى سنة ١٨٦٥ كتب رواية «من الأرض إلى القمر»

DE LA TERRE A' LA LUNE

- وفى سنة ١٨٧٠ كتب رواية «عشرون ألف فرسخ تحت البحر»

VINGT MILLE LIEUES SOUS LES MERS

- وفى سنة ١٨٧٣ كتب رواية «حول العالم فى ثمانين يوماً » .

LA TOUR DU MONDE EN QUATRE - VINGT JOURS

- وفى سنة ١٨٧٤ كتب رواية «الجزيرة الغامضة» .

L' ILE MYSTÈ RIEUSE

- وقد لاقت جميع هذه الروايات الخيالية نجاحاً هائلاً ، وترجمت إلى عدة لغات عالمية . وعندما تقدمت صناعة السينما فى العقود الأولى من القرن العشرين ، أخرجت هذه الأعمال الأدبية فى أفلام سينمائية ، وأعيد إخراجها عدة مرات كلما تقدمت الوسائل التكنولوجية فى فن السينما .

- منح وسام الشرف تقديراً واحتراماً للتراث الذى تركه وأثرى به أدب الخيال العلمى .

●● روبرت لويس ستيفنسون ROBERT LOUIS STEVENSON

● يعتبر واحدًا من أعظم وأشهر الأدباء الانجليز فى القرن التاسع عشر ، ولد فى ١٣ نوفمبر ١٨٥٠ بمدينة أَدِنْبَرَه باسكتلندا ، ومات فى فايليما ساموا بالبحار الجنوبية فى ٣ ديسمبر ١٨٩٤ .

● بالرغم من حياته القصيرة فقد ترك تراثًا ضخمًا من الروايات الرومانسية المحبوبة والمقالات والكتب عن أدب الرحلات والقصائد الشعرية .

● عاش طوال حياته مريضًا بالسل ، وكان يضطر للقيام برحلات إلى المناطق والبلاد الأخرى الأكثر دفئًا لكى يخفف أثر نوبات هذا المرض الصدرى ، ومن هنا تفتحت موهبته فى تأليف كتب أدب الرحلات .

● كان أبوه مهندسًا بحريًا ، وكان من المتوقع أن يدرس الهندسة ليعمل فى نفس المهنة التى كان يشتغل فيها والده ، إلا أن ضعف صحته جعله يكتفى بدراسة القانون فى جامعة أدنبره حتى يتخرج محاميًا أو للعمل فى القضاء ، إلا أن هوايته للشعر والكتابة الأدبية هيأت له فرصة الاتصال بالكتّاب والأدباء الانجليز الذين كانوا مشهورين فى عصره ، فأعجبوا به وشجعوه على التفرغ لانتاجه الأدبى حتى تبوأ المكانة المرموقة فى الأدب الانجليزى .

● فى عام ١٨٧٦ التقى بسيدة أمريكية هى « فانى اسبورن » التى كانت تكبره بنحو عشر سنوات فأحبها ، وعندما سافرت عائدة إلى وطنها فى ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، سافر إليها ليلحق بها ، وركب سفينة مهاجرين من انجلترا إلى نيويورك وقد استغرقت الرحلة البحرية أحد عشر يومًا أعقبتها رحلة بالقطار من نيويورك إلى سان فرانسسكو استغرقت إثنى عشر يومًا . وتزوج حبيبته عام ١٨٨٠ . ويقول مؤرخو الأدب الانجليزى أن هذا الزواج كان فاتحة خير لأعظم فترات حياة روبرت لويس ستيفنسون خصوبة فكرية وإنتاجًا أدبيًا .

● ومن أشهر كتب أدب الرحلات التى ألفها : « مغرم بالسياحة » و « رحلة عبر السهول » و « سفريات مع حمار » و « رحلة داخلية » و « دراسات طريفة عن الكتب والرجال » و « حاشية للتاريخ » و « البحار الجنوبية » .

● ومن أشهر الروايات الأدبية التى حازت شهرة عالمية : «جزيرة الكنز» و « والأمير أوتو » و « حديقة أشعار الطفل » و « دكتور جيكل ومستر هايد» و « المخطوف » و « السهم الأسود » . كما كتب العديد من القصائد الشعرية والقصص القصيرة .. وقد ذاعت معظم هذه الأعمال فى مختلف أنحاء العالم وترجمت إلى عديد من اللغات ، كما أنتجت فى أفلام سينمائية ناجحة .

● قام برحلته الأخيرة مع زوجته إلى جزر البحار الجنوبية فى المحيط الهادى ، وزار ثلاثًا وثلاثين جزيرة إلى أن استقر به المقام فى جزيرة ساموا حيث مات فيها قبل أن يفرغ من كتابة روايته الأخيرة « القديس إيفز » .

●● أنتونى هوب ANTONY HOPE

● روائى انجليزى اسمه بالكامل « سير أنتونى هوب هوكنز » .. ولد فى لندن فى ٩ فبراير ١٨٦٣ ومات فى ٨ يوليو ١٩٣٣ .

● درس فى مارلبورو وكلية باليول بجامعة أوكسفورد وتخرج فى سنة ١٨٨٧ وعمل محاميًا ناجحًا ولكنه كان يهوى الأدب والكتابة ..

● وبالرغم من أنه كان مُقِلاً فى انتاجه الأدبى إلا أن روايته الشهيرة « سجين زندا » التى كتبها عام ١٨٩٤ والتى تدور أحداثها فى مملكة خيالية اسمها روريتانيا ، لاقت نجاحًا هائلاً شجعه على كتابة تكملة وامتداد لها فى رواية شهيرة أخرى بعنوان « روبرت أوف هنتزو » صدرت سنة ١٨٩٨ .

● تحولت روايته « سجين زندا » إلى مسرحية ، ثم أخرجت فى فيلم سينمائى شهير .. وكتب عددًا من الروايات الأخرى إلا أن إحداها لم تصل إلى شهرة هذه الرواية .

● فى عام ١٩١٨ أنعم عليه بقلم « فارس » .

●● جون شتاينبك JOHN STEINBECK

● أديب أمريكي ولد فى مدينة ساليناس بولاية كاليفورنيا فى ٢٧ فبراير ١٩٠٢ ، ومات فى مدينة نيويورك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨ .

● فاز بجائزة نوبل فى الأدب سنة ١٩٦٢ ، تقديرًا لأعماله الأدبية التى تعتبر من أروع معالم الأدب الأمريكى فى القرن العشرين .

● كان قد التحق بجامعة ستانفورد بكاليفورنيا من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٦ ، ولكنه لم يتمكن من الحصول على الدرجة العلمية التى تؤهله للشهادة الجامعية .

● قبل احترافه الكتابة باشر عدة أعمال للحصول على الدخل الذى يقيم أوده ، فاشتغل عاملاً فى صيدلية ، وخفيرًا ، وجانيًا للمحاصيل الزراعية، ومسّاحًا للأرض .. وقد استفاد كثيرًا من مخالطته للطبقة العاملة ، فعرف الكثير من متاعبها ومشاكلها والصعوبات التى تواجهها هذه الطبقة فى حياتها .. وقد ظهر هذا التأثر فى العديد من أعماله القصصية والروائية .

● حازت أغلب أعماله الروائية على شهرة عالمية وترجمت إلى عدد من اللغات ، كما أنتجت بعض أعماله الأدبية الشهيرة فى أفلام سينمائية .. وقد

بدأ شهرته حين كتب رواية « الكعكة عديمة الطعم » سنة ١٩٣٥ ، ثم رواية « معركة مشكوك فى نتيجتها » سنة ١٩٣٦ ، ثم روايته الشهيرة « رجال وفئران » سنة ١٩٣٧ التى تم تحويلها إلى مسرحية درامية ثم أنتجت بعد ذلك فى فيلم سينمائى شهير ، ورواية « عناقيد الغضب » التى أنتجت هى الأخرى فى فيلم سينمائى سنة ١٩٤٠ .

● وفى أثناء فترة الحرب العالمية الثانية ، عمل كمراسل حربى ، كما كتب العديد من القصص والروايات ذات الصبغة الدعائية .. وبعد انتهاء الحرب كتب الكثير من الأعمال الروائية ذات الطابع الاجتماعى والانسانى بصفة عامة ، أشهرها رواية « الأتوبيس المتمرد » سنة ١٩٤٧ ، ورواية « اللؤلؤة » سنة ١٩٤٧ ، ورواية « شرق عدن » سنة ١٩٥٢ .

● قام بكتابة السيناريو أو المعالجة السينمائية للكثير من أعماله الأدبية ، ومن أشهر الأفلام التى كتبها أخذ عن رواياته « اللؤلؤة » و « شرق عدن » و« القرية المنسية » والفيلم الشهير « فيفازاباتا » .

●● تشارلس ديكنز CHARLES DICKENS

● من أعظم الأدباء الانجليز الذين اشتهروا عالميًا ، ولد فى منطقة بورتسى [وتسمى الآن بورتسماوث] فى ٧ فبراير ١٨١٢ ، ومات فى جادس هيل بمقاطعة كِنْت فى ٩ يونيو ١٨٧٠ .

● نشأ فى أسرة فقيرة وكان ثانى ثمانية أبناء لوالديه . وكان أبوه يعمل بوظيفة كاتب بالبحرية ولا يكفى دخله من تلك الوظيفة لرعاية أسرته الكبيرة . وفى سن السادسة التحق تشارلس ديكنز بمدرسة صغيرة لفترة قصيرة ، ثم انتقلت أسرته إلى لندن ، حيث أخذ يتجول بين أحيائها وشوارعها الراقية والفقيرة ، وهى الأماكن التى وصفها فى معظم قصصه ورواياته الأدبية ومقالاته الصحفية .

● عندما بلغ الثانية عشرة من عمره اشتغل فى مصنع لدهان الأحذية وعانى كل ما كان يعانيه أمثاله من الأطفال الانجليز الفقراء .. وعاش طفولة بائسة بعد أن دخل أبوه إلى السجن لعجزه عن سداد ديونه .

● ونتيجة للمعاناة التى صادفها فى حياته المبكرة ، فقد اهتم بابراز الوجه المظلم الكئيب لحياة الفقراء فى مدينة لندن خلال العصر الفكتورى.. وتناول هذا الموضوع فى العديد من قصصه وروايته الأمر الذى شكّل فى

النهاية دعوة متكاملة للاصلاح الاجتماعى للناس وللفقراء بصفة عامة ، وطالب بإزالة أحياء قديمة بأكملها لبناء أحياء جديدة بديلة تليق بكرامة الانجليز كبشر .

● ورث أبوه ثروة صغيرة من أحد أقربائه ، فاستطاع أن يسدد ديونه ، وأن يلحق ابنه تشارلس بمدرسة راقية ، فأقبل على التعلم بنهم وظهرت بوادر عبقريته فى كتابة بعض الحكايات والقصص القصيرة كان يقرأها بنفسه على زملائه بالمدرسة . واستطاع تكوين فرقة مسرحية متواضعة لأنه كان يهوى التمثيل .

● وفى سن مبكرة عمل تشارلس ديكنز كمراسل صحفى لإحدى الجرائد بالإضافة إلى عمل آخر بمكتب أحد المحامين ، وقد وصف طبيعة أعمال المحامين والقضاة والمتقاضين ، كما وصف مبانى المحاكم وقاعاتها ودهاليزها وصفًا مشوقًا ظهر فى العديد من قصصه وروایاته التى كتبها فيما بعد .

● وفى سن الثانية والعشرين ، حصل على وظيفة ثابتة كمحرر ومراسل وكاتب تقارير صحفية فى جريدة « ذا مورنينج كرونيكال » اليومية ، فازدادت خبرته بالحياة وتعلم الكثير من أحوال الحياة وأحوال الناس فى مختلف الطبقات والمستويات الاجتماعية .

● فى عام ١٨٣٣ نشر أول أعماله الأدبية الكبرى ، وهى رواية قصيرة بعنوان « الغداء تحت أشجار الحور » .. وقد أعاد صياغة هذه الرواية فيما بعد وغيّر عنوانها إلى « المستر مينز وابن عمه » . ونشر أيضًا كتابًا باسم « اسكتشات من تأليف بوز » . وفيما بين عامى ١٨٣٦ و ١٨٣٧ نشر

حلقات مسلسلة لروايته الشهيرة « مذكرات بيكويك » .. وهى الرواية التى بلغ بها أوج الشهرة فى طول انجلترا وعرضها ، بل وقفزت بشهرته فوق الأطلنطى حتى وصلت إلى أمريكا .

● وتبنى فكرة الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى عن طريق العرض الأدبى لأحوال المجتمع الانجليزى فى مختلف طبقاته مع التركيز على الدعوة لإصلاح أحوال الفقراء وبسطاء الناس . ولشدة إيمانه بدوره كمصلح اجتماعى كتب العديد من القصص والروايات التى تدعو إلى التمسك بالقيم الانسانية النبيلة ومكارم الأخلاق .

● قام بعدة رحلات إلى إيطاليا وسويسرا وفرنسا ، وكتب رواية على شكل حلقات مسلسلة بعنوان « دومبى وولده » أنتقد فيها بعنف التقاليد التى كانت تقوم على أساس النعرات العائلية والافتخار بالانتساب إلى العائلات العريقة ، كما انتقد انكباب بعض الناس على عبادة المال وجمع الثروات .

● ومن أشهر أعماله الأدبية التى اشتهرت عالميًا : رواية « دكان التحف القديمة » سنة ١٨٤٠ .. و « مذكرات بيكويك » سنة ١٨٣٦ .. و « نيكولاس نيكلباى » سنة ١٨٣٨ .. و « اسكتشات عن جنتلمان صغير » سنة ١٨٣٨ .. و « اسكتشات عن الأزواج الشبان » سنة ١٨٤٠ .. و « بارنابى رووج » سنة ١٨٤١ .. و « مذكرات أمريكية » سنة ١٨٤٢ [سخر فيها من طريقة الحياة الأمريكية ومن الأخلاقيات والمؤسسات السياسية الأمريكية ومن تمسك الأمريكيين بتطبيق نظام العبيد].. ورواية «أنشودة عيد الميلاد» سنة ١٨٤٣ .. و « موسيقى الأجراس » سنة ١٨٤٤..

و « معركة الحياة » سنة ١٨٤٦ ، ومسلسلة « صور من إيطاليا » سنة ١٨٤٥ .. وروايته الشهيرة « أوليفر تويست » سنة ١٨٣٩ [التى كشف فيها الأساليب الإجرامية التى يقع فى حبائلها العديد من الأطفال الصغار المشردين ، كما انتقد فيها أساليب القسوة والمعاملة السيئة والأحوال غير الإنسانية فى الملاجىء والإصلاحيات والمؤسسات التى كانت تسمى مؤسسات خيرية].. ورواية « دافيد كوبر فيلد » سنة ١٨٥٠ [التى تعتبر نوعًا من التاريخ أو السيرة الذاتية لحياته ، وكيف عبر بجهوده الشخصية تلك القنطرة الصعبة التى تفصل بين خمول الذكر والشهرة الواسعة ، وقد اعتبرها نقاد الأدب ومؤرخوه علامة ساطعة على الدرجة الرفيعة التى بلغها تشارلس ديكنز فى الأدب الانجليزى] .. أما رواية « حكاية مدينتين » فتدور أحداثها فى كل من لندن وباريس ويصف فيها الأحوال البائسة التى كان يعيش فيها الشعب الفرنسى الذى قام بالثورة لاصلاح تلك الأحوال والانتقام من طبقة الارستقراطيين والنبلاء .

● ومات تشارلس ديكنز وهو يكتب الفصل السادس من روايته الأخيرة التى لم تكتمل « سر إدوين درود » .. ودفن مع عظماء الانجليز فى وستمنستر إبى .

●● وليم شيكسبير WILLIAM SHAKESPEARE

● من أعظم الأدباء والشعراء وكتّاب المسرح الانجليز ، تم تعميده كطفل فى ٢٦ أبريل ١٥٦٤ بكنيسة البلدة التى ولد فيها وهى « ستراتفورد أبون آفون » بانجلترا .. ومات بنفس البلدة فى ٢٣ أبريل ١٦١٦ .

● كان أبوه قد نزح إلى تلك البلدة قادمًا من قرية سنترفيلد سعيًا وراء الرزق حيث مارس العمل فى الزراعة وعاش حياة بسيطة وفقيرة .

● التحق وليم شيكسبير بالمدرسة الابتدائية بالقرية حيث درس مبادىء اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، وهى الدراسة التى مكّنته فيما بعد من التعمق فى قراءة كتب التاريخ والأدب الكلاسيكى .

● ولم يتمكن من مواصلة دراسته بسبب اضطراره إلى العمل لمساعدة والده . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة تزوج من فتاة قروية من نفس البلدة ، وهى « آن هاثاواى » التى أنجبت له ابنته سوزانا وتوأمين هما هَامْنِث وجوديث .

● ولأنه كان يهوى التمثيل بالإضافة إلى كتابة الشعر فقد انتقل إلى لندن سنة ١٥٨٤ حيث التحق بأشهر الفرق المسرحية وكتب بعض المسرحيات ونشر أول أعماله الشعرية « فينوس وأدونيس » عام ١٥٩٣ ، وحقق نجاحًا

كبيرًا واستطاع أن يسدد جميع ديونه ويتمتع بفائض يمكنه من الارتفاع بمستوى حياته .

● بعد النجاح الذى حققه فى لندن عاد إلى بلدته الريفية « ستراتفورد أبون آفون » وواصل تأليف القصائد الشعرية [حيث اعتبره نقاد ومؤرخو الأدب أنه الشاعر القومى للانجليز] .. كما واصل كتابة المسرحيات الكوميدية والتاريخية والتراجيدية « المأساوية » التى تظهر فيها عبقريته وقدرته الأدبية الفائقة على تحليل النفس البشرية والتصرفات والمواقف الانسانية ، وقدرته المتميزة على الموازنة بين المواقف الضاحكة والمواقف المأساوية المحزنة فى حياة البشر .

● ترجع أولى المسرحيات التى كتبها إلى فترة التسعينيات من القرن السادس عشر ، بدءًا بالمسرحيات الكوميدية مثل « ترويض الشرسة » التى كتبها سنة ١٥٩٣ / ١٥٩٤ والمسرحيات التاريخية التى يتناول فيها حياة بعض الملوك الانجليز مثل مسرحية « هنرى السادس » التى كتبها سنة ١٥٩٢ .. ومسرحية « ريتشارد الثالث » سنة ١٥٩٢ / ١٥٩٣ .. والمسرحيات التراجيدية مثل « روميو وجولييت » سنة ١٥٩٤ / ١٥٩٥ .. وتدل هذه المسرحيات التى كتبها شيكسبير فى بداية حياته الأدبية على تمكنه من القدرة على تطويع اللغة الانجليزية للتعبير بها عن الأحداث والشخصيات فى ضوء المنهج الذى ابتدعه فى التعبير الدرامى .

● أما المسرحيات والأعمال الدرامية التى كتبها شيكسبير فى المرحلة الوسطى من حياته الأدبية فبعضها من الأعمال الكوميدية وبعضها الآخر من الأعمال التاريخية التى تناول فيها موقف أبطاله من الملوك الانجليز

والشخصيات الكبرى من غير الانجليز ومن الأحداث التاريخية التى عاصروها . وأهم هذه المسرحيات « تاجر البندقية » التى كتبها سنة ١٥٩٦/ ١٥٩٧ .. ومسرحية « ضجيج بلا طحن » سنة ١٥٩٨ / ١٥٩٩ .. ومسرحية « هنرى الرابع » سنة ١٥٩٨ / ١٥٩٩ .. ومسرحية « يوليوس قيصر » سنة ١٥٩٩ / ١٦٠٠ .

● ومع بداية القرن السابع عشر ، كتب شيكسبير أعظم مسرحياته التراجيدية مثل مسرحية « هاملت » التى كتبها سنة ١٦٠٠ / ١٦٠١ .. ومسرحية « عطيل » سنة ١٦٠٤ / ١٦٠٥ .. ومسرحية « الملك لير » سنة ١٦٠٥ / ١٦٠٦ .. ومسرحية « ماكبث » سنة ١٦٠٥ / ١٦٠٦ .

● أما المسرحيات التى كتبها فى المرحلة الأخيرة من حياته الأدبية فتتنوع ما بين الأعمال الرومانسية والكوميدية والمأساوية مثل مسرحية « حكاية شتاء» التى كتبها سنة ١٦١٠ / ١٦١١ .. ومسرحية « العاصفة » سنة ١٦١١ / ١٦١٢ ..

● وما زالت أعمال شيكسبير تحوز إعجاب الناس فى معظم أنحاء العالم، وترجمت إلى عشرات من اللغات ، وما زالت تلقى هذا القبول والنجاح حتى الآن ، سواء بنشرها ككتب مقروءة أو بتقديمها على خشبة المسرح الدرامى والغنائى والراقص « الباليه » أو بإخراجها فى أفلام سينمائية ذات شهر عالمية .

الفهـــرس